الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة تلمسان معهد الثقافة الشعبية

سمات الشخصية الندرومية من خلال التنشئة الاجتماعية للطفل و علاقتها بالأمثال الشعبية
- دراسة أنثروبولوجية -

رسالة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالبة :
بوزيان فائزة

إشراف :
د. حاجيات عبد الحميد

بمساعدة :
أ. رمضان محمّد

السنة الجامعية 1999 – 2000

MAG. 370 - 14/02

معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد 589
تاريخ الوصول 27/07/03
رقم التصنيف ATM/136

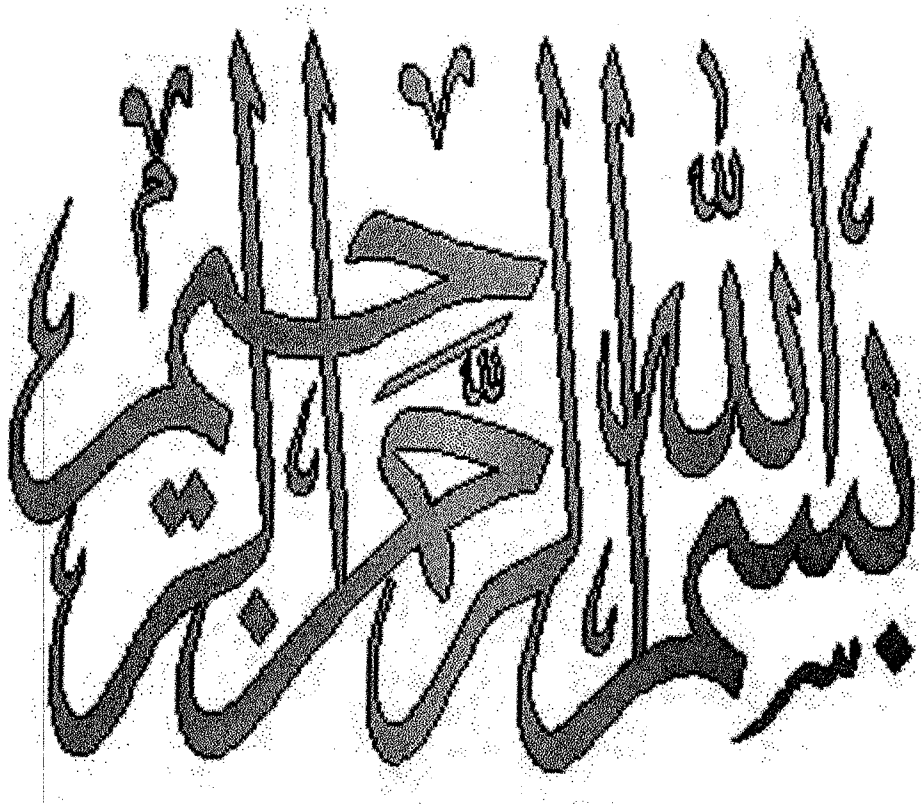

الإهداء

إلى أعزّ الناس، أبي و أمي و اخوتي،
إلى زوجي الحبيب، الّذي شجّعني على مواصلة العمل
و شاركني كلّ همومه و تحمّل معي كلّ صعابه،
إلى ابني : منصف الأمين
وابنتي : فاطمة الزّهراء.

- كلمة شكر و تقدير -

أرى لزاما عليّ، و قد أنهيت بحثي هذا أن أتقدّم بفائق التّقدير، و جزيل الشّكر، و عظيم الامتنان إلى المشرف الدّكتور حاجيات، الّذي تفضل بالإشراف على البحث.

كما أتقدّم بجزيل الشّكر و عظيم الامتنان للأستاذ رمضان محمّد الّذي كان لتوجيهاته السّديدة، و التفاتاته البارعة الأثر الواضح في ظهور البحث بشكله الّذي عليه، فلولا العون و المساعدة و التّشجيع الّذي أمدّني به كلّما احتجت إليه لما وجدت العزم و الإصرار للمضي قدما نحو الهدف.

و لا يفوتني أيضا أن أعترف أنّني لولا الجهد الّذي بذله زوجي، و شدّ أزري على المثابرة في العمل إلى أن بلغت هذا الشّوط منه، لذلك أتوجه إلى أبي منصف الأمين، رفيق حياتي الّذي تحمّل طوال عكوفي على إنجاز هذا العمل، و أضيفه إلى خالص المحبّة الّتي تجمعنا اعترافي له بالجميل.

و أسدي جزيل الشّكر و أصدق الثّناء لأعزّ الناس والدي العزيز و الأمّ الحبيبة و أخواتي.

أتقدم بفائت شكري و تقديري إلى جميع الأمهات و الرّجال الّذين شاركوا في البحث و إلى كلّ من مدّ لي يد المساعدة من قريب أو بعيد، و خاصة عمّال و عاملات مكتبة المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية بمدينة وهران. كما لا يفتوني أن أشكر السّيد Albert OBRIER، الأمين العام بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

المقدمة

إن هذه الدّراسة قد اختارت مدينة ندرومة الّتي كانت من الحواضر ذوات المكانة في سائر مناحي الحياة العلمية و الأدبية. كما تعدّ عملا يهتمّ بالبحث، و الدّراسة عن ثقافة مجتمع صغير هو المجتمع النّدرومي، و بالتّالي تحديد سماته، هذه السّمات الّتي ينفرد بها نتيجة عوامل مناخية، جغرافية، تاريخية ...

و لقد جرت العادة في داخل الأسر النّدرومية، أن يمرّ الطّفل منذ ولادته بمجموعة من الخبرات الّتي لها علاقة وطيدة بالعادات و التقاليد الّتي لابد من اتّباعها، و الّتي تميّزه عن باقي المجتمعات الأخرى. لذلك فإنّ دراسة الخبرات الّتي يمرّ بها الطّفل من الولادة حتّى نموّه تزوّدني بالأساس الّذي لابدّ منه، لكي أفهم سلوك الرّاشدين فهما أكثر دقّة، و بالتّالي تحديد سماته الخاصة و يمكنني القول بأنّ خصائص الشّخصيّة الإنسانية و أهدافها العريضة و فلسفتها العامّة في الحياة، و اختيارها للمهنة أو للعلم لا تتضح لنا تماما إلاّ في ضوء تاريخ النّمو بأكمله لهذه الشّخصية.

و اعتمدت في هذا العمل بتدعيم كلّ سمة بأمثال شعبية، و الّتي هي عبارة عن عبارات رنانة يستحسنها سكان ندرومة كبارا و صغارا، نساءا و رجالا، ذات معان كبيرة، و مضمون واسع، و ضمن هذا المنظور، أقدّم هذه الدّراسة الميدانية.

و قد ارتأيت أن تحتوي المقدّمة على :

أولا : الأهمية العلمية لموضوع الدّراسة
ثانيا : الدّراسات السّابقة
ثالثا : مشكلة البحث و أبعادها
رابعا : فروض البحث
خامسا : تحديد المفاهيم
سادسا : تقنيات البحث :
سابعا : محتويات الدّراسة
ثامنا : الصّعوبات الّتي اعترضت الباحثة في موضوع الدّراسة

الفصل التمهيديّ : التّعريف بمدينة ندرومة

الفصل الأوّل : الرّضاعة

الفصل الثاني : التّنويم

الفصل الثالث : التّقميط

الفصل الرّابع : التعليم

الفصل الخامس : الحرف

الفصل السادس : السّمات المستخلصة من الدّراسة الميدانية

الخاتمة.

إنّ أهل ندرومة يتباهون بهذه المدينة الصّغيرة، و خير دليل ما جاء في قصيدة أحد أبنائها الأخوة عمارة تحت عنوان :
" *ما أحلاك يا ندرومة* ".

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية
ربي أعطاك سر الدّنيا البهاء و الزّين و النّظرة
كرمك الله بالبشرى القرآن و العلم و السورة
اسمك نظرة نظروا فيها
العلماء و الصوفياء

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية
ندرومة ضاوية ضوات بالشّجعان و السّدات
و أولادها في كل بقعات تقاه و الدّين و ثبات
فيك الشّفاء فيك العفاء
الأولياء و الشرفاء

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية
خبرك شعشع و شاع و بحرك فيه النّبي يوشع
الأبطال و الشّجاع و نورك دائما يسطع
فيك الآثار أم الجدار
أولادك أحرار محزمة بالنار

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية
أوصل بعينك تشوف سيدي يحيى بن الزعيوف
بالمقام زور و طوف يذهب عنك الرّعب و الخوف
سيدي بوعلي حمو سلطان
سيدي الشبلي عبد الرحمان

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية

زاوية سيدي بنعمر فيها السّر الظّاهر

من جاها يبرى من الضر و لو مفلوج قاصر

فيك الأحبار فيك الأسرار

فيك الأنوار فيك الأزهار

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية

جدرانها بنيان مرصوص و هواها يهجي النّفوس

الطرب و الأندلس و أهل المعاني جلوس

فيك الفنون فيك الملحون

فيك الحوزي فيك الموزون

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية

بين الجبال جيت موعرى بين فلاوسن و تاجرة

قبائل و برابرة مسيردة و ترارة

فيك القلعة و التربيعة

فيك الصنعة و أسواق السّلعة

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية

عبد المؤمن بن علي الكومي المتولي

أخضع له شريف و والي حتى جيوش النّحل

مرابطين موحدين

مرينين زيانيين

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية

عصروها الذّهبي و المغرب العربي

صلاح الدين الأيوبي تاريخ حزين للصّليبي

فيك الأطلال فيك الأبطال

فيك النّضال فيك الأفضال

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية

أذكر أسمي بالجهرة محمّد الحاج عمارة

ثمانين و ثلاثمائة معبرة ضف ألف للهجرة

آه يا محلاك يا ندرومة آه يا محلاك يا الغالية

إن شاء الله تحي ندرومة و نعيشوا فيها بسلامة

آه فيك الخير يا ندرومة آه فيك الزّين يا مكرومة

****

بالخير تمت و بالصلاة على النبي ختمت

أولا : الأهمية العلمية لموضوع الدّراسة

يطيب لي أن أستهلّ دراستي هذه بمقولة لأحد أعلام علماء الأنثروبولوجيا المهتمّين بدراسات الثّقافة و الشخصية، العالم الأمريكي كلوكهون KLUCKHOHN : " *الشّخصية هي استمرار الأشكال و القوى الوظيفية التي تظهر من خلال تتابع العمليات و صور السّلوك الظّاهري المنظّمة، و السّائدة منذ الولادة حتىّ الممات.* " (1)

فإذا توصلنا إلى معرفة أنماط الثّقافة السّائدة فإنّنا نحرز بالضّرورة كسبا كبيرا، و تقدّما ملحوظا في معرفة الشّخصية و سماتها و أنّ العوامل ذات الأثر الحاسم هي العوامل الثّقافية السّائدة في المجتمع.

و يجمع كثير من الباحثين الأنثروبولوجين على اختلاف أطرهم النّظرية على أنّ السّنوات الأولى من حياة الطّفل هي أكثر السّنين أهمية في تكوين سلوكه و تحديد شخصيته.

---

(1) KLUCKHOHN C. and MURRAY H. : Personality in nature society and culture, Alfred A. Knopf N.Y. 1959, p. 49
عن أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 157

و يرى كاردنر KARDENER أنّ : " *خضوع الأطفال في المجتمع الواحد لخبرات ذات طابع واحد، و استجابتهم المتشابهة لتلك الخبرات يؤدّي حتما إلى طبع شخصياتهم بسمات مشتركة، و تلك السّمات المشتركة هي التي تكون البناء الأساسي للشخصية في المجتمع.* " (1)

فالمجتمع الّذي اخترته لهذه الدّراسة، هو المجتمع الخاص بمدينة ندرومة الّتي سوف يتمّ التّعريف بها في الفصل التمهيدي من هذا العمل؛ إذ يمتاز هذا المجتمع بشخصية متميزة ببعض الخصوصيّات عن شخصيات مدن الجزائر، بحكم بعض العوامل التّاريخية الّتي تجعل مجتمع البحث حلقة منفصلة من بعض الفروع و الجزئيات عن شخصية الوطن الجزائري، بقدر ما هي متّصلة و متكاملة معه في الأصول و المقوّمات الثّقافية، و الحضارية ذات المنبع الواحد.

من هذا المنطلق، ستكون هذه الدّراسة كعنصر أصغر من وحدة كبرى : هي المجتمع الجزائري.

---

(1) KARDENER A. : The concept of basic personality in personal character and cultural milieu, N.Y. Syracuse C.U.V. 1964, p. 462-463

عن أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 284

حيث كتب المؤرّخون عن " ندرومة " و رجالها العظماء، فتعدّدت موضوعاتهم بتعدّد جنسياتهم سواء فرنسية كانت أو أمريكية أو عربية أو إسبانية، فالكاتب René BASSET في كتابه Nédroma El-Traras يتحدث عن تاريخ هذه المدينة، و عن مساحات أراضيها الزراعية و خيراتها، و عن سكانها و نشاطاتهم و ممارستهم اليومية، عن علاقتهم بعضهم ببعض ... الخ.

و الكتاب قيوم Gilbert GRANDGUILLAUME في كتابه Nédroma – L'évolution d'une Médina يتحدث عن اقتصاد ندرومة، عن العلاقات الاجتماعية، عن الأيديولوجية العادات و التقاليد (الملبس، المأكل، المشرب)، عن السّكان، و الشخصيات، البارزة و ممارسا تهم اليومية، و عن الفولكلور و أهم من برز فيه.

الإدريسي في كتابه الجغرافي الحافل : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص 223، يقول : " *مدينة ندرومة، إنها مدينة كبيرة آهلة ذات سور و سوق، موضعها في سند و لها مزارع و سقي كثير.* "، و يذكر الكاتب البكري أيضا قائلا : " *لها نهر و بساتين فيها من جميع الثمار.* ".

أمّا الكاتب عبد الرّحمن بن محمد الجيلالي في كتابه، تاريخ الجزائر العام ج1 ج2، يذكر الشّخصيات، و يحيطها بهالة من العظمة، فيقول في صفحة 374 من هذا الكتاب : " *إذا نظرنا إلى نشاط ملوك هذه الدّولة، و ما كانوا عليه من التّضلّع، و التعمّق في فنون العلم، و المعرفة و الأدب و الحكمة، و الفلسفة أدركنا حياة الشّعب العلمية، و ما بلغه المغرب العربيّ يومئذ من العرفان، و التّقدم. إن كلّ من ابن تومرت، و عبد المؤمن بن علي و أبي يعقوب المنصور، و أبنائهما ممّن تملّك أو ترأس هذه الحكومة الموحدية كان كوكبا لامعا، و نبراسا ساطعا في العلم، و لو أخذت في محادثتك أيها القارئ الكريم عن سيرة و أحد من هؤلاء لتملكك العجب.* ". و غيرها من المؤلفات العديدة التي تذكر تاريخ ندرومة بطريقة تتالي الأحداث، و تأريخها مثلها هو معتاد في الإطار البيداغوجي، حيث تحدّث هؤلاء عن تاريخ ميلاد الشّخصيات و نشأتهم، فلا يستطيع الوسط الشعبي إدراك المبتغى من هذه الدراسة.

آ ليت أن أخرج في موضوعي هذا عن المعتاد، و أصبغه بصبغة الأنثروبولوجيا الثّقافية في هذا المجتمع الصّغير الّذي لم تجر فيه أية أبحاث عملية موضوعية عن الشّخصية النّدرومية ككيان مستقل عن الشّخصية المشبّعة بالأفكار الفرنسية، هذا الأخير الّذي طالما اعتبر البلاد جزءا لا يتجزأ من فرنسا تراثا و شعبا، حتّى لا يشعر الجزائري بشخصيته المتميّزة، و الّذي كان من مبادئه محاولة التّفرقة العرقية بين أفراده و هذا ما نجده في المجتمع النّدرومي " القبايل " و " المدارمة ".

فالبحث هذا سيمثّل أوّل محاولة علمية يتناول المجتمع النّدرومي كوحدة ثقافية يفترض أن تكون ذات سمات مشتركة تطبع الشّخصية النّدرومية بطابع خاصّ بقطع النّظر عن الأصول العرقية لبعض أفراده.

و بما أنّ الثّقافة هي المسؤول الأوّل على تحديد الشّكل الرئيسي للشّخصية في أيّ مجتمع، يكون من الضّروريّ أن تختلف سمات الشّخصية باختلاف الثقافات من أسرة لأخرى. كما تختلف من مجتمع لآخر.

ثانيا : الدّراسات السّابقة

لقد أجريت عدّة دراسات مختلفة حول الثقافة، و الشّخصية. فصال و جال العلماء و الأنثروبولوجيون من مختلف أقطار العالم الأوروبي في هذا المجال.

فكان أوّل عالم فكر في هذا العلم هو العالم الأمريكي وايتل WHITEL سنة 1925، تلاه كلّ من أدوارد سابير Edward SAPIR و دولارد سنة 1933، كلاهما نظما حلقة بحيث في جامعة أمريكا لمناقشة هذا الموضوع، و ازداد الاهتمام به خلال الحرب العالمية الثانية حيث اهتم العديد من الأنثروبولوجيين على تحديد السّمات الأساسية للشّخصية، و ساهموا في نشأة فرع الثّقافة و الشّخصية فجعلوه كفرع علمي قائم بذاته، و وضعوا أسسه العلمية، إنها دراسات رائدة، صحيحة من حيث الإطلالة الواقعة في هذا الميدان المستحدث من الفروع العلمية التي تبحث جانبا جديدا من جوانب الحياة الإنسانية المعقدة الغامضة، و من بين دراسات هؤلاء العلماء نذكر :

1 – دراسة هونيجمان HONIGMAN على قبائل " كاسكا " :

أجرى دراسات أنثروبولوجية على قبائل " كاسكا " الهنود الحمر في الإقليم الشّمالي لكولمبيا بأمريكا الشّمالية، فتوصل من خلالها إلى العوامل الثّقافية الّتي تؤثر في الشّخصية، و في ضوئها حدّد صفات الشّخصية الّتي يتميّزون بها. (1)

2 – دراسة روث بنيديكة Benedict RUTH :

قامت بدراسة تحليلية مقارنة لثقافة ثلاث مجموعات من قبائل الهنود الحمر، فاستنتجت أنّ كلّ ثقافة من تلك الثّقافات طبعت الأفراد بسمات معيّنة، و ربطت بين تلك السّمات الظّاهرة في شخصيات تلك القبائل، و الأنماط الثّقافية السّائدة لدى كلّ منها بالنّسبة لطرق تربية الأطفال، و طرق العقاب المتبعة في تلك النّظم، فبينت كيف تؤثر الثّقافة في شخصيات حامليها، و كيف يؤدي ذلك التّأثير إلى وجود نمطين مختلفين من الشّخصية. (2)

---

(1) HONIGMAN J. : Culture and personality, New York, 1954, p. 9
(2) Benedict RUTH : Patterns of culture, London, 1946, p. 42-43

3 – دراسة ماجريت ميد Margaret MEAD :

أجرت دراستها على مجتمع " مانوس " (Manos)، و أقامت طوال فترة بحثها بين أهل الجزيرة في شمال غينيا الجديدة، فحاولت في دراستها أن تربط بين سلوك الأطفال و شخصياتهم و سلوك الكبار، و بين قيم هؤلاء الأطفال و بين الطّرق الّتي يتبعها الكبار في تربية الأطفال. و أنّ الصّيغة الثّقافية العامّة في المجتمع و الّتي تتحدد بالدّور و المركز الاجتماعي تؤثر في تكوين شخصية الطفل. و يتميز مجتمع " مانوس " أنّه يعطي لأطفاله الحرية المطلقة، و أنّ طرق التربية الّتي تمارس في تنشئة الأطفال تساهم في تكوين شخصيات متميزة، و يظهر التمايز في شخصيات الأطفال في سن مبكرة. (1)

4 – دراسة إبرام كاردينر عن الشخصية الأساسية :

قدم تحليلا وضح من خلاله تأثير الثّقافة في تكوين الشّخصية، و توصل من خلال تحليله إلى ما يعرف باسم الشّخصية الأساسية Basic personality حيث تتبع علاقة التّدريب في الطّفولة المبكرة شخصية البالغ في ثقافة خاصّة، فالشخصية تتشكل بواسطة النظم الثقافية الأولية. (2)

---

(1) Margaret MEAD : Mœurs et sexualité en Océanie, Traduit par Georges CHEVASSUS, Librairie PLON, 1963

(2) رالف لينتون : الأنثروبولوجيا و أزمة العالم الحديث، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967، ص 201

عن د. محمّد حسن غماري : مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 61

5 – دراسة فرانز بواس :

قام بدراسة عن شمال المحيط الهادي، فتوصّل إلى أنّه حدث في الماضي اتصال بين سكّان شرقي سيبيريا و هنود كولومبيا البريطانية، و ذلك لوجود عدد من الأساطير المعقدة، فتوصل إلى وجود عمليات تاريخية هي عملية الانتشار، و عملية التكامل، و يقصد بعملية الانتشار أن السّمات الثقافية تنتشر من جماعة إلى أخرى عن طريق الاتصال التّاريخي. أمّا عمليه التكامل فيقصد بها تعديل، أو تكييف العناصر الثقافية المستعارة، و تثبيتها في الثقافة المحلية. (1)

6 – دراسة سليجمان SELIGNAN :

عالج في انجلترا موضوع الثقافة و الشخصية في مقال نشره بمناسبة تعيينه رئيسا للمعهد الملكي الأنثروبولوجي. (1)

7 – دراسة ادوار سابير Edward SAPIR :

نشر مقالا بعنوان ظهور مفهوم الشّخصية في دراسة الثقافات في مجلة علم النفس الاجتماعي 1934. (1)

---

(1) محمّد حسن غامري : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامّة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 34، 54–55

8 – دراسة كلوكهون و مورير KLUCKHOHN et MOWER :

فقد درسا مكونات الشّخصية من الناحية البيولوجية، و البيئة الفيزيقية و الاجتماعية و الثقافية و الخصائص المزاجية، و الجماعات السّلالية و الدور الاجتماعي. (1)

من خلال أسماء هؤلاء العلماء نلاحظ أنّ دراسات الثقافة، و الشّخصية اقتصرت على العالم الأوروبي. بينما الأقطار العربية لم يشرع باحثوها في هذا العلم إلاّ مؤخّرا بسبب السّيطرة الاستعمارية.

---

(1) محمّد حسن غامري : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامّة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 54-55

تعتبر جامعة الإسكندرية أوّل جامعة عربية خصّصت قسما مستقلاّ للأنثروبولوجيا. فأخذ المهتمّون من الباحثين يبحثون في هذا المجال و منهم الباحث العربي : طاسديث يلسن تيتوح في بحث الأنثروبولوجيا Les voleurs de feu سرّاق النار لعناصر أنثروبولوجية اجتماعية ثقافيةجزائرية سنة 1993 (1)، حيث درس مجتمع القبائل الكبرى من حيث الثقافة و الشخصية و حاول التّعرّف على التغيير الّذي طرأ على هذا المجتمع.

كما أجرى الدّكتور أحمد بن نعمان دراسته أصدرها سنة 1988 عن السّمات الأساسية للشخصية القومية للمجتمّع الجزائري، و شواهدها الثقافية من الأمثال الشّعبية، و الملاحظة للسّلوك الاجتماعي، فتوصّل من خلالها إلى مجموعة من النّتائج العامّة المتّصلة بميدان الثقافة، و الشخصية بشكل إجمالي، و النتائج المحدّدة المتّصلة بمجتمع البحث بشكل خاص.

إنّ هذا المجهود الجبار الّذي قام به الدّكتور أحمد ابن نعمان يعتبر محفّزا، و مشجّعا للخوض في دراسة الشّخصية النّدرومية و تحديد سماتها الأساسية عن طريق تحديد الأنماط الثقافية و الخبرات الأساسية المهمّة و المنبعة في تربية الأطفال من الولادة إلى مرحلة التّعلم. و من المنطقي أن يشكل هذا التناول دعما لأهمية البحث بدراسة أكثر شمولا. فيكون له أهمية عملية، أهمّ جوانبها :

---

(1) TASSADIT Yacine-Titouh : Les voleurs de feu, éléments d'une anthropologie sociale et culturelle de l'algérie, Editions La découverte, Paris, 1993

أولا : الانطلاق من الواقع الثقافيّ للمجتمع النّدرومي، و بالتّالي يمكنني التوّصل إلى نتائج مطابقة للواقع المدروس، و على هذا الأساس يكون البحث المقدم مفيدا لكونه يتم بواسطة باحثة تنتمي إلى نفس المجتمع المدروس إذ ينتظر أن يسفر على نتائج جديدة قد تخدم النظرية الأنثروبولوجية القائمة حول الثّقافة و الشّخصية.

ثانيا : البحث الأنثروبولوجي منهجه يعتمد على الملاحظة بالمشاركة، و هو منهج لا يسعف الباحث فيه إلاّ العيش داخل الجماعة. موضوع الدّراسة و كسب ثقة أفرادها.

ثالثا : فوائد علمية تعود على المجتمع المدروس، و الّتي هي غاية الأهمية.

رابعا : تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي ورثها بعض أفراد المجتمع من عهد الاحتلال الفرنسيّ.

خامسا : القضاء على النّزعة العنصرية التي ما تزال لدى بعض المثقفين المتأثّرين بمبدإ اعتبار المجتمع الندرومي مكوّنا من عنصرين، أو عرقين مختلفين كلّ الاختلاف، و هما العنصر البربري (القبايل) و العنصر العربي (المدارمة) الذي يعتبر وافدا على المدينة في غزوات همجية.

سادسا : إبراز أوجه التشابه و الاختلاف بين الشّخصية النّدرومية قديما و الشّخصية النّدرومية حديثا من خلال تحديد سمات كلّ واحدة منها عن طريق الخبرات الّتي يمر بها الأطفال في المرحلة الأولى من الحياة، و تدعيم كلّ سمة بمثل شعبي.

سابعا : مراقبة مدى فعالية التّغير الاجتماعي، و الثّقافي الّذي صاحب مرحلة الاستقلال، و الّذي شهد تحوّلا في القيّم المتوارثة و صراعا ظاهريا بين نزعة التجديد، و التقليد، و بين الثقافة العربية الإسلامية، و بين الثقافة الأجنبية، و مغرياتها و تأثيرها على الشخصية النّدرومية.

ثامنا : مراقبة مدى مطابقة الأمثال الشعبية المتداولة في الوسط النّدرومي و الخاصة بالشخصية المتعلّمة كأن يقولون :

"*ندرومة فنجال و تخرّج الرّجال* "

"*لي ما جال ما يعرف قدر الرّجال* "

"*لي ما قرا ما تغرّب يبقى في الهم يتعذب* "

تاسعا : سيفيد هذا البحث من تحديد السمات بما يمكن من معرفة أوجه التغير الّتي طرأت عليها، إذ أنّ الشخصية ليست شيئا ثابتا أبد الدّهر، بل هي عرضة للتطوّر و التغيّر بنفس النّسبة الّتي تتغيّر بها الثقافة السّائدة.

ثالثا : مشكلة البحث و أبعادها :

نقرأ في لسان العرب لابن منظور هذه التّعريفات : قال ربّ بدون(ي) ولده، و الصبيّ يربّه ربّا و ربّبه تربّة أي ربّاه و في الحديث : "*لك نعمة تربّها أي تحفظها و تراعيها، كما يربّي الرّجل ولده.* " و في حديث ابن ذي يزن : " *أسد تربّب في الفيضات أشبالا، أي تربّي و هو أبلغ منه تربّ، و تربّبه و ارتبّه و ربّاه تربية.* " (1)

و عرّفها الدّكتور أحمد شبشوب : " *التّربية هي العمل الواعي أو اللاّواعي الّذي يقوم به الكهول إزاء الأطفال قصد تعليمهم جملة من المعارف و الرّموز، و القيم الّتي يراها الأوّلون صالحة الاندماج داخل المجتمع.* " (2)

إذن فكلّ تربية هي قبل كلّ شيء تمرير للمعارف، و القيم و الرّموز من جيل الكهول إلى جيل الأطفال، و هو تمرير يهدف أساسا إلى تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية، يكتسب فيها الفرد شخصيته الّتي تعكس ثقافة بيئة مجتمعه الّتي تعتبر المجال الحيوي لفعل التّربية عبر مؤسّسات اجتماعية، و إنّ الخبرات التّربوية الّتي تمرّ بها هذه الأجيال النّاشئة هي الّتي تحدّد مستقبل الأمّة. لذلك لابدّ من دراسة الظّروف الّتي تساعد أبناءها على تنمية طاقاتهم، و قابليتهم و توجيه شخصياتهم بما يحقق أهداف المجتمع. و من تمّ ضرورة الاهتمام بمرحلة الطّفولة، و التّركيز عليها، إذ لها أثر فعّال في مراحل الحياة المقبلة.

---

(1) ابن منظور : لسان العرب، طبعة دار صابر، بيروت، لبنان، 1956، ج 1، ص 199

(2) أحمد شبشوب : علوم التّربية، طبعة الأولى، مطبعة الوفاق، قربة، تونس، 1986، ص 8

بما أنّ الطّفل يعيش سنواته الأولى في محيط الأسرة، فهي مجتمعه الأوّل، الّذي يتفاعل فيه مع أعضائه، و هي الّتي توفّر له الظّروف التّربوية الّتي تساعده على النّمو و التعلّم، و هي الّتي تعمل على تنشئته ليتبوّأ مكانة في المجتمع، و ليأخذ دوره المناسب فيه، و هي الوعاء الّذي تتشكّل بداخله شخصية الطّفل تشكيلا فرديا و اجتماعيا. فهي بهذا تمارس عمليات تربوية هادفة لتحقيق نمو الفرد و المجتمع، و تتطوّر شخصيته المتمركزة حول ذاته إلى شخصية اجتماعية، فيعكس إطار العلاقات الأسرية النّظام الثّقافي الشّامل للأسرة بأوضاعه و أبعاده الاقتصادية و الاجتماعية و الثّقافية و التّرويحية، و بالتّالي يعكس أثرها على تربية الطّفل، و يرى الدكتور ميشيل دبابنة : " *أنّ هذه الأوضاع أو الأبعاد الّتي يعكسها الإطار العام للعلاقات الأسرية تلقي بضلالها على الحياة الأسرية، فتخلق جوّا اجتماعيا و نفسيا يؤثّر بشدّة في تربية الطفل و تكوين شخصيته لأن الأصل يطبع المولود الجديد من أوّل يوم، و بعد ذلك كلّه تحمل العائلة على عاتقها مهمّة تربية الطّفل، و دمجه في المجتمع، فمنذ الصّرخة الأولى ينتمي إلى قبيلته، إلى عشيرته و إلى عائلته و إلى أسرته.* ". (1)

فالأسرة إذن كجماعة أولى ينتمي إليها الطّفل تشكل الملامح الأساسيّة لنمط شخصيته، و نمط ترابطه مع الآخرين، و نمط تكوين العلاقات و الاتّجهات الّتي تتّسم بالمرونة و الإجابية أو بالجمود و السّلبية، فهو إذن اجتماعي من صنع بيئته، و لكنّه تكويني من خلال و راثته.

---

(1) ZERDOUMI Nefissa : Enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionel algérien, François MASPERO, Paris, 1982, p. 201

و يرى المربّون المسلمون أنّ طبيعة الطفل محايدة لا تميل إلى الخير أو الشّر، بل إلى الجهة الّتي توجّهه إليها التّربية السّائدة في مجتمعه و لقد اتخذ المربون المسلمون هذا الاتّجاه منذ فجر الإسلام (1)، مستشهدين بقوله تعالى : " *و نفس و ما سوّاها، فألهمها فجورها، و تقواها، قد أفلح من زكّاها، و قد خاب من دسّاها ...* ".

و يقول الغزالي في نفس المعنى : " *الصّبيّ أمانة عند والديه، و قلبه الطّاهر جوهرة نفسية ساذجه. خالية من كلّ نقش و صورة، و هو قابل لكل ما نقش، و مائل إلى كلّ ما يقال، فإذا عوّد الخير علّمه نشأ عليه و سعد في الدّنيا و الآخرة، و شاركه في ثوابه كلّ معلّم و مؤدّب، و إن عوّد الشرّ و أهمل إهمال البهائم شقي و هلك و كان الوزر في رقبة القيم عليه و الوالي له.* " (2)

إذن فالتّربية هي عملية تعلّم و تعليم.

لهذا نجد الأسرة تعمل على تنشئته ليتبوأ مكانة في المجتمع، و ليأخذ دوره المناسب فيه، لذلك يتّفق الكثير من علماء التّربية، و علماء النّفس، و علماء الاجتماع على ما لهذه المؤسسة الاجتماعية، من أهمية كبرى في اكتساب الأطفال الخصائص و الصّفات الاجتماعية الأساسية، و الدّعائم الأولى للشّخصية. و منذ وقت طويل اهتمّت الأنثروبولوجية عندما كانت توجه أغلب اهتماماتها لدراسة الشّعوب البدائية إلى أسلوب هذه المجتمعات في التّنشئة الاجتماعية ابتداء من مرحلة الولادة حتّى النّضج، بل إنّ جانبا كبيرا من الدّراسات الأنثروبولوجية الثّقافية تعنى بدراسة أثر الثّقافة على الشخصية الإنسانية.

---

(1) ميشيل دبابنة و دنيل محفوظ : سيكولوجية الطّفولة، دار المستقبل للنّشر و التوزيع، عمّان، الأردن، 1984، ص 117

(2) نفس المرجع السابق، ص 117

ثمّة حقيقة توافق عليها الغالبية العظمى من علماء الاجتماع، و هي : " *أنّ الاختلافات التي في طرق التّربية من جماعة إلى أخرى، أو من مجتمع إلى آخر هي في واقع الأمر اختلافات ثقافية.* " (1)

و لما كان البحث يهدف إلى التّعرف على سمات الشّخصية النّدرومية، و الأسرة نواة المجتمع، و خليته الأساسية، و ممثلة ثقافته، و ناقلة لها إلى أجياله النّاشئة، كلّ ذلك يجعل التّعرف على سمات شخصية أفرادها بشكل عام، و بما أنّ البحث يهدف إلى كشف هذه السّمات، السّؤال الّذي يعترضنا هنا هو :

- ما هي هذه السّمات ؟

- و هل طرأ عليها تغيير ؟

---

(1) سناء الخولي : الأسرة و الحياة العائلية، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 289

و هذه الأسرة باعتبارها وحدة اجتماعية فإنّها بدون شك تشتق ثقافتها من المجتمع الّذي يحتويها؛ و تنقل إلى الطّفل عن طريق أفرادها جميع المفاهيم، و المعارف و الخبرات، و المهارات و الاتّجاهات و القيم الّتي تسود المجتمع؛ و تعمل على توجيه نموه في الإطار الّذي يتماشى مع ثقافتها، و مع الوسط الاجتماعيّ الّذي ينتمي إليه، فيتأثّر بها نموه الانفعالي و الوجداني، و يكون اعتماد الطّفل داخل الأسرة على الأمّ أكثر من أيّ فرد آخر، فهي الّتي ترعاه، و تلبّي حاجياته في السّنوات الأولى، و ترى " ونتربوتوم " (WINTER BOTTOM)، 1958 (1) أنّ الأمهات أكثر اتصالا بالأطفال خلال السنوات الأولى من حياتهم، كما أنّ الرّوابط العاطفية الّتي تربطهن بالأبناء أكثر قوّة من الرّوابط الّتي تربط الأطفال بأعضاء الأسرة الآخرين.

و بما أنّ : " *كل شخص يمر خلال مراحل نموّه و منذ اللّحظات الأولى للحياة بعد الولادة بعدد من الخبرات مع الآخرين، و هذه الخبرات تؤثر في بناء الشّخصية النّامية الّتي تحكم بدورها سلوكه الاجتماعي.* " (2)

---

(1) أمل عوّاد معرون : أساليب الأمهات في التّطبع الاجتماعي للطّفل في الأسرة الجزائرية، ط 1، 1987، بيروت، لبنان، ص 23

(2) ريتشاردسن لازاروس : الشّخصية، ترجمة محمّد غنيم و مراجعة عثمان نجاتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص 175

و بالتّالي تحدد سمات شخصيته، فكل ذلك و غيره ممّا لا يتّسع المجال لذكره، جعلني أركزّ دراستي على بعض الخبرات الّتي تقوم بها الأمهات دون غيرهنّ من أعضاء الأسرة الآخرين، و اعتبرت طرقهّن في التّربية ممثّلة لطرق الأسرة، و من ثمّ لطرق المجتمع، و في هذا المجال نجد " رالف لنيتون " (LINTON) الّذي يعتبر من الأنثروبولوجيين البارزين الّذين اهتموا بدور التّربية في تكوين الشّخصية يرى أن : " *الأطفال الّذين ولدوا في مجتمع معيّن يربون تقريبا بنفس الكيفية من جيل إلى جيل.* "

فهل هذا مازال ساري المفعول في المجتمع الند رومي ؟

و هل الأمهات النّدروميات تتبع نفس طرق التربية الّتي مارسها الأسلاف ؟

و لمّا كانت التّربية لها دور في تكوين الشّخصية، و أنّ الأم و الطّفل يحدث بينهما التّفاعل من خلال مواقف معيّنة، السّؤال الآخر الّذي يعترضنا هنا هو :

ما هي الخبرات الّتي نحدّد من خلالها سمات الشّخصية النّد رومية و نعتمدها في دراستنا ؟

إنّ الشّخصية هي مجموع الأنشطة الّتي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الواقعة لفترة طويلة تسمح بتوفير مادة يمكن الاعتماد عليها.

هذا جعلني أركز دراستي على التّعرف على الخبرات الأساسية لبناء الشّخصية من خلال متغيّرات البناء الاجتماعي لأوضّح كيف يؤثر المجتمع و ثقافته في الشّخصية، و يطبعانه بسمات خاصة لأنّ الخبرات الاجتماعية للأطفال هي الأساس الاجتماعي في تكوين الشّخصية كما يرى علماء الأنثروبولوجيا.

لذلك حدّدت هذه المتغيّرات كالآتي :

- التّربية
- التّعليم
- الحرف

رابعا : فرضية البحث :

تؤكدّ العلامة " روث بندكت " (RUTH Benedict) : " *أنّ النّمط الثّقافيّ يكون له ردّ فعله العميق في تركيب سمات الشّخصية، و قد تعتري الشخصية بعض الأمراض و الانحرافات السّلوكية نتيجة عدم التّكيّف مع الأوضاع الثّقافية الجديدة أو المغايرة لثقافة الفرد، ممّا يحدث خللا حتميا في التّوازن الاجتماعيّ.* " (1)

انطلاقا من هذه المسلّمة، تتأكدّ لنا أهميّة دراسة الشّخصية في الوقت الحاضر لما طرأ على الثّقافة الجزائرية من تغيّرات أهمّها : مرحلة الاحتلال، مرحلة الاستقلال، تغيّر ثقافي كبير. و لا شك أنّ لتلك التّغيّرات أثر على السّمات الرّئيسية للشّخصية. و بما أنّ الأسرة في ندرومة حاليا كما هو الحال في أسر القطر الجزائري عموما، عبارة عن شيء مختلف، و بصفة محسوسة عمّا كان عليه منذ السّتينات متحرّكة في التّاريخ المباشر للوطن، علامات يمكن إدراكها بمؤشّرات ملاحظة، أوضاع غير معتادة، و سلوكات أخرى، و كذلك تصرّفات، و أنماط مختلفة، إنها مؤشّرات، و علامات تجعلنا نباشر فهم الأسرة النّدرومية بطريقة أخرى.

الأسرة النّدرومية التّقليدية هي أسرة تميل إلى البساطة في عاداتها و تقاليدها، و في تمرير و اكتساب الفرد في كافّة مراحله سلوكا و معايير، و اتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معيّنة، تمكنه من مسايرة الطّابع الاجتماعي، و تيسّر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

---

(1) Benedict RUTH : Patterns of culture, Pinguin book, N.Y., 1946, p. 39

عن أحمد بن نعمان، سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 13

إذا كانت الأسرة النّدرومية تحافظ على تربية أبنائها بنفس النّمط السّابق فإنها تقوم بذلك انطلاقا من هيكل قديم، و من هنا فهي تشارك دائما في العملية التّربوية التّقليدية. و طبع الفرد بسمات خاصّة. إنّ الخبرات الّتي يمرّ بها المولود في الأسرة النّدرومية تتماشى و مختلف النّواحي الاقتصادية، الثقافية و الاجتماعية.

فإذا لم تنل الشّخصية قدرا كافيا من الإشباع فإنّ الفرد يصبح ميدانا لحالة من التّوتر؛ و كلّما ازداد التّوتر ازداد عدم الاتّزان الانفعالي، و غلب على الشّخصية ظاهرة الاضطراب و السّلوك العدواني بأشكاله المتعدّدة، و اضطرب تكيّفه مع مجتمعه.

و المدينة ندرومة حيّز صغير يتمّ فيها التّطوّر، و يسير سيرا بطيئا جدّا.

فهل تتطوّر الأسرة النّدرومية بنفس النّسق السّريع للتّنمية مع التّنمية السّريعة و الشاملة للقطاعات الاجتماعية و الاقتصادية ؟

هل انفصلت الأسرة النّدرومية الحالية نهائيا عن نمط عائليّ تقليدي ؟

هل حصل تغيير جدريّ على مستوى الأسرة النّدرومية ؟

بماذا تدين الأسرة الحالية للأسرة النّدرومية التّقليدية ؟

إنّ النّمط الأسري المعاصر في التّربية شارك دائما في النّمط الأسري التّقليدي، و يعمل على طبع الشّخصية النّدرومية بنفس سمات شخصية الأسلاف مصداقا للمثل الشعبيّ : " يكبر و يجود و *يشبه الجدود*. ". و يقول العالم الاجتماعي الفرنسيّ "دوركهيم" (DURKHEIM) : " *ليس الإنسان الذي تريد التّربية أن تحققه فينا هو الإنسان كما خلقته الطّبيعة، و إنّما هو الإنسان كما يريده المجتمع.* " (1)

---

(1) أحمد شبشوب : علوم التّربية، مطبعة الوفاق، قربة، تونس، ط 1، 1986، ص 16

فهل الأسرة النّدرومية تكوّن أفرادا كما يريدهم المجتمع ؟
أو كما تريدهم العادات و التقاليد المتعارف عليها قديما ؟

انطلاقا من هذه التّساؤلات العديدة و الّتي نرجو أن نصل بها إلى نتائج ملموسة لها.

يكون هذا العمل مجرّد لبنة صغيرة تضاف إلى صرح البحث العلميّ. إذ يعتبر دراسة تقريبية لإبراز المنظور الأنثروبولوجي للشّخصية الثّقافية، كما هو قائم في أذهان العلماء، و ليس كما يجب أن يكون لأنّ ذلك من اختصاص العلماء أنفسهم، و بالتّالي إثراء الدّراسات الأنثروبولوجية بدراستي هذه تحت عنوان : "*سمات الشخصية النّدرومية، دراسة أنثروبولوجية.* "

و يتحدّد موضوع الدّراسة بما يلي :

1 – التّعرف على الخبرات التّالية، و المتعلقة بالتّنشئة الاجتماعية للطّفل، و الّتي تستعملها، و تتبعها الأمّهات مع أطفالهنّ خلال السّنوات الأولى من الولادة في المواقف الآتية :

1) الرّضاعة
2) التّقميط
3) التّنويم
4) التّعلم في الكتاتيب
5) الحرف و الممارسات

2 – التعرف على طموح الفرد النّدرومي في مجال التعلّم، و هل يتمّ بموعظة تاريخية حقيقة ؟
أم يتم على باب التّبني لهذه الشّخصية ذات المستوى الثقافي العالي ؟

3 – التّعرف على الخبرات الّتي توجّه من خلالها الأطفال إلى ممارسة الحرف التّقليدية الّتي عرفت و اشتهرت بها المدينة بالإضافة إلى حبّه و تعلقه بالعلم.

4 – التعرّف على الخبرات الّتي تستخدمها الأمهات مع الأطفال من حيث علاقتها بالفئة الاجتماعية الّتي تنتمي إليها الأمهات و الّتي تمّ تحديدها وفقا لمتغيّرات كلّ من : التّعلم و السّن.

خامسا : تحديد المفاهيم

1 – معنى لغة السّمات :

إنّ الواجب الأساسي لدراسة الشّخصية، هو وصف أبنية النظّام الّذي تعالجه، وإيجاد لغة وصفية، لغة تجعل من الممكن تكوين صورة سيكولوجية للنّاس بعامّة، و لشخص معيّن بالذّات بخاصّة. لذلك ارتأيت أن أستخدم لغة السّمات" Les traits "، و هي من أبسط الطّرق و أقدمها في وصف شخص ما بمصطلحات معيّنة، و هي التّعرف على أنماط السّلوك الّتي تصفه، و تسميتها بأسماء السّمات.

و منها السّمة الثّقافية " Culture trait "، و هي أبسط العناصر الثّقافية و الّتي تبدو في النّواحي المادية، أو المعنوية كالفنيّة، أو اللّغوية، أو الاجتماعية. (1)

أمّا التّعاريف السيّكولوجية الاجتماعية، ترى أنّ السّمات هي مفاهيم استعدا دية " Dispositional concepts " : أي مفاهيم تشير إلى نزعات للفعل أو الاستجابة بطرق معيّنة. و بطبيعة الحال، فالشّخص تتغيّر استعداداته السّيكولوجية من موفق لآخر، لذلك ركّزت في بحثي عن مفهوم السّمات حتّى لا يختلط عليّ الأمر بينهما و بين مفهوم الحالة " State ".

---

(1) سامية حسن السّاعاتي : الثّقافة و الشّخصية، ط 2، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص 97

و يعرفها " أرسكوفيتس "(HERSKOVITS) على : " *أنّها مصطلح يدل على أصغر وحدة يمكن تمييزها من الوحدات المماثلة في البناء الثّقافي.* ". (1)

كما تعرفّها سامية حسن السّاعاتي : " *السّمة هي تلك الصّفة، أو الخاصية الّتي تمكّننا من أن نفرّق على أساسها بين شخص و آخر، أو هي استعداد عام أو نزعة عامة تطبع الفرد بطابع خاص و تشكله و تلوّنه و تعيّن نوعه و كيفيته.* " (2)

و هذه الاستعدادات تعدّ عند أصحاب نظريات السّمات أهم مكونات الشّخصية الّتي تعبّر عن ميل الفرد للعمل أو عن السّلوك بشكل معيّن.

فالسّمة عندها : هي استعداد يعيّن كيفية الاستجابة؛ فهي تشمل : العواطف، و الميول و الاتّجاهات الخلقية و العقد النّفسية، و المميزات الميزاجية. فالسّمات أساس لبناء الشّخصية بناءا متكاملا؛ فيؤثر بعضها في بعض على الدّوام.

و إذا تمعنّا في هذه الوحدة الصّغيرة من ناحية محتوياتها فمن الممكن القول بوجود أنواع كثيرة من السّمات الّتي تشير إلى أنواع الأهداف الّتي يتجّه نحوها السّلوك، و سمات القدرة الّتي تشير إلى القدرات و المهارات العامّة، و الخاصّة، و السّمات المزاجية كالنّزعة إلى التّفاؤل و الاكتئاب، و النّشاط و غيرها. و سمات الأسلوبية " Stylistic " الّتي تتضمّن الإيماءات و أساليب التّفكير و السّلوك.

---

(1) HERSKOVITS Melville : Man and his works, N. Y. Knopf, 1948, p. 170

(2) سامية حسن السّاعاتي : الثّقافة و الشّخصية، ط 2، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص 146

و في هذا الصّدد، عالج واضعوا نظريات السّمات موضوع تحديد قوائم السّمات بطرق مختلفة، فبينما يضع العالم "كاتل" (CATEL) سنة 1950 الدّوافع ضمن قائمة السّمات، نجد "موري" (MURRAY) سنة 1937 و " ماكليلاند " MACKLELLAND سنة 1951 يميّزان بين السّمات و الدّوافع، حيث تتضمن السّمات الوسائل المميّزة الّتي تتحقق بها الأهداف؛ و تحتوي هذه اللّغة "السّمات " على عدد كبير من الكلمات الّتي تحدّد سمات الشّخصية، فقد يوصف الإنسان بأنّه : خجول، عدوانيّ، كسول، سهل المعاشرة، طموح ... و غير ذلك.

فالسّمات تشير إلى تغيرات ظاهرة أو سطحية : كالعدوانية، أو صفات أعمق أو أكثر استدلالية : كالاعتقادات، أو القدرة على التّحكم في التّعبير عن الدّوافع.

بينما نجد عميد سيكولوجية سمات الشّخصية، ألا و هو "جوردون ألبورت" (1937–1961) يرى أنّ السّمات هي الوحدة الطّبيعيّة لوصف الشّخصية؛ و قد أكّد فكرة أنّ السّمات هي خصائص متكاملة للشّخص، و ليست مجرّد جزء من خيال الملاحظ، أي إنّها تشير إلى خصائص : عصبية، نفسية، واقعية، تحدّد سلوك الشّخص؛ و يمكن التّعرف عليها فقط من خلال الملاحظة، و عن طريق الاستدلال ممّا هو مركزي أساسي، و ممّا هو هامشي و غير هامّ بالنّسبة للشّخص. كما أكّد أيضا وحدة كل شخص، ليست فقط في كلّ سمة فردية، بل أيضا في تنظيم هذه السّمات في كلّ متكامل.

و هي ليست وحدات مستقلّة داخل الفرد، و لكنّها مجموعة متوافقة " Interdépendant " من الصّفات تتجمّع لإحداث الآثار السّلوكية، يرتبط بعضها ببعض ارتباطا متبادلا، و تكون كلاّ متصل الأجزاء. و في هذا الصّدد نورد التعريف الذي ورد في معجم المصطلحات الاجتماعية كما يلي : "*فالسّمات الثقافية تترابط في شكل أنماط اجتماعية يطلق عليها اسم المركب الثقافي، و المركّب يشتمل على كلّ أنواع النّشاط المرتبطة بالسّمة المركزية.* ". (1)

انطلاقا من هذا التّعريف للسّمات الثقافية يمكننا القول : "*إن كلّ موقف سلوكي هو بالنّسبة للإنسان موقف اجتماعيّ، سواء كان هذا الإنسان فردا أو مع جماعة من النّاس.* ".

و أفعال الشّخص يجب أن يدركها الشّخص الآخر، و يفسّرها على أنّ لها معنى.

و المواقف الاجتماعية يمكن أن تؤثر بالفعل على كلّ وظيفة سيكولوجية بشرية نقوم بدراستها؛ فهي تؤثّر في ما نتعلّمه و كيف نتعلّمه، كيف ندرك، كيف نحكم على المجتمع، و الأحداث الّتي فيه، و في اللّغة الّتي بها نصف، و نصوّر الأحداث، و في دوافعنا، و الطّريقة الّتي بها تتوافق و مطالب الحياة، و مشاعرنا تجاه الآخرين، و الطّرق الّتي ينتظم فيها النّاس، و أدوارهم اليومية، و أدوار حياتهم كلّها تنتمي أساسا لعلم الأنثروبولوجيا الثقافية، و إنّ نوعين من المتغيّرات الاجتماعية توضّح كيف يؤثر المجتمع في الشّخصية، و نعني بها متغيّر الطّبقة الثّقافية، و متغيّر الطّبقة الاجتماعية الّتي تؤثر في الشّخصية.

---

(1) ريتشاردسن لازاروس : الشّخصية، ترجمة محمّد غنيم و مراجعة عثمان نجاتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص 47

" إنّ سمات الفرد هي طرق سلوكه في ظلّ مثيرات بيئية " (1) و يتوقّف وجودها على التفاعل بينها و بين البيئة. فالفرد لا يملك الحياء أو الانطلاق بل يشعر بالحياء في ظل ظروف معيّنة و هو ينطلق في ظروف أخرى مما يؤكدّ أهمية الظّروف الخارجية.

و انطلاقا من هنا يمكن تحديد المفاهيم الآتية :

الأنثروبولوجيا الثّقافية، الثّقافة، الشّخصيّة.

2 – الأنثروبولوجيا الثقافية :

هناك تعاريف مختلفة لمصطلح الأنثروبولوجيا تختلف باختلاف العلماء، حيث يعرف بعضهم هذا العلم بأنّه " *علم الإنسان من حيث هو (كائن فيزيقي)، و يعرّفه الأخر بأنّه علم الإنسان (أفعاله و سلوكه) أو علم الجماعات البشرية.* " (2).

و خلاصة هذا القول، فإن هذا العلم يهتمّ بدراسة التّراث و التقاليد و العادات، أي طرق التّفكير البشري و السّلوك الّذي يطلق عليه اصطلاح الثقافة " Culture " فهي علم دراسة الإنسان. و مصلح أنثروبولوجي " Antropology " كلمة يونانية قديمة جاءت أساسا من كلمة " Athropos " و معناها الإنسان، و كلمة " Logos " و معناها دراسة أو علم، و هكذا يكون معنى الأنثروبولوجيا اللّفظي علم الإنسان.

---

(1) سامية حسن السّاعاتي : الثقافة و الشّخصية، ط 2، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص 146

(2) قباري إسماعيل : الأنثروبولوجيا العامّة، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، 1971، ص 11

و تدرس الأنثروبولوجيا الإنسان سواء كان في الأزمان السحيقة، أو المعاصرة. كما تدرس طرق حياة الناس الّذين عاشوا في الماضي، و كذلك طرق حياة النّاس في الزّمن الحاضر؛ فالموضوع الّذي تهتم به الأنثروبولوجيا يتصف بالاتّساع و التّشعب، حيث تشتمل على فروع، و تخصّصات متعدّدة يركز كلّ منها على أحد الأشكال المختلفة للخبرات البشرية.

و تمثل الأنثروبولوجيا نقطة الاتّصال بين العلوم الإنسانية " Humanities " و العلوم الطّبيعية " Natural sciences " و العلوم الاجتماعية " Social sciences ".

و تستفيد الأنثروبولوجيا من عدد كبير من العلوم الاجتماعية : الاقتصاد و علم النّفس، و علم الاجتماع، و علم السّياسة، و علم الإحصاء، و القانون، و الجغرافيا. فهي بهذا المفهوم العام أوسع الدّراسات الاجتماعية نطاقا، و أشملها موضوعا.

" فالأنثروبولوجيا الثقافية تدرس الثقافة " Culture " و المعنى المبسط لذلك المفهوم هو طريقة معيشة مجتمع ما. و الثقافة من صنع الإنسان، و هي ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين الطّبيعة مثل قانون التّطور، و قانون البقاء للأصلح. ". (1)

و يعتبر موضوع الثقافة من أهمّ الموضوعات الّتي تناولتها الأنثروبولوجيا بالتّحليل و المناقشة.

---

(1) عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النّهضة العربية للطباعة، بيروت، لبنان، 1971، ص 26

3 – الثقافة :

تعتبر الثقافة من أكبر موضوعات العلوم الإنسانية تعدّدا، و تنوّعا في التّعاريف المختلفة التّي تدل على عدم اتّفاق العلماء على صبغة موحدة لمفهوم الثقافة.

و رغم ذلك فهو من أهمّ الموضوعات التّي تتناولها الأنثروبولوجيا بالتّحليل و المناقشة؛ إذ يكشف تاريخ الأنثروبولوجيا الثقافية عن عديد من المحاولات التّي قامت بوضع تعاريف للثقافة و استخدامها.

نجد العالم الأنثروبولوجي " تايلور " (Taylor) (1832–1917) في كتابه " الثقافة البدائية " يعرف هذا المصطلح قائلا :

" الثقافة هي ذلك الكلّ المركب الّذي يشمل المعرفة، و العقائد و الفن و الأخلاق، و القانون و العرف، و العادات، و كلّ القدرات، و العادات الأخرى التّي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع. ". (1)

انطلاقا من هذا التّعريف، فإن السّلوك البشري، هو نتاج للخبرات الفردية الناتجة من عملية التعلّم، التّي تحدث من خلال الجماعة التّي يعيش فيها الفرد، و طرق التّعبير التّي ترتبط بالحقائق البيولوجية، و التّي يتعلّمها الإنسان مثل العادات و المعتقدات، و أنماط السّلوك، و هي التّي تشكّل الموضوع الّذي يتناوله بالدّراسة علماء الأنثروبولوجيا الثقافية. فالثقافة حسب قول تايلور تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق عملية التّعلّم.

---

(1) TAYLOR E.: Primitive culture, London, 1903, John MURRAY, p. 3

عن أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 88

و مهما يكن من أمر، ما يهمّنا هنا في هذه الدّراسة " الثقافة الاجتماعية " هذه الثقافة تعتبر اجتماعية، و تدرس في إطارها الاجتماعي، و يقوم الأنثروبولوجي في هذا المجال بدراسة سلوك الأفراد كأعضاء ينتمون إلى مجتمع معيّن، و بالتّالي يمكنه استنتاج الأنماط الثقافية السّائدة فيه.

" و تدرس الثقافة في الجماعات و المجتمعات و ذلك لأنها عادات المجتمعات، و ليس عادات الأفراد، و إذا درس الأنثروبولوجي سلوك الأفراد، يستنتج منها أنماط الثقافة، فإنّه يدرس هؤلاء الأفراد كأعضاء في جماعة معيّنة، و ليس بصفتهم الفردية الشّخصية. ". (1)

هذه الأنماط الثقافية التي هي في تغيّر مستمرّ عبر الزّمن، نتيجة عدّة عوامل؛ كأن يكون المجتمع منعزلا، و صغيرا فيكون التّغير ببطء، و يكون التّغير بسرعة أكبر إذا كان المجتمع كبيرا و متمدنا، حيث تتوفّر وسائل الاحتكاك، و التّفاعل، و الانفتاح على الثقافات الأخرى. غير أن هذا التّفكير يكون في حلقات متصلة بعضها ببعض ضمن إطار التّراث الثّقافي الّذي يتوارثه الأجيال خلفا عن سلف داخل المجتمع الواحد.

و يعتبر النّمط الثّقافي الوحدة الوظيفية الهامّة للثّقافة، فالطفل يتعلّم سماتا ثقافية في إطار عام من السّلوك، و من وظائف هذا الأخير أنه ينظم سلوك الأفراد، و بدونه تعمّ الفوضى، و العشوائية، و هذا ما نود البحث فيه. حيث يتعلّم الفرد منذ الصّغر أنماطا مختلفة، يتعلّق كلّ واحد منها بمجال

---

(1) عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النّهضة العربية للطباعة، بيروت، لبنان، 1971، ص 86

من مجالات الحياة الاجتماعية الّتي يعيشها، بحيث تكون هذه الأنماط عبارة عن ضوابط لسلوكه في مختلف مناحي الحياة في العلاقات مع أفراد الأسرة، في طريقة التنويم التقميط، الرّضاعة، في التّعلم ...

فهي إذن بعد رئيسي من أبعاد الشّخصية، و في هذا الاتّجاه يرى " كلوكهون " (KLUCKHOHN C.) : " *إنّنا إذا توصلنا إلى معرفة أنماط الثّقافة السّائدة فإننا نحرز بالضّرورة كسبا كبيرا، و تقدّما في معرفة الشّخصية، حيث يقوم منهج دراسة الشّخصية من هذه الزّاوية في نظر كلوكهون على تحديد المّادة الثّقافية الّتي يمكن للباحث أن يصل إليها بدراسة القيم، و فهم المنبهات و الدّوافع الاجتماعية.* ". (1).

لأنّ الإنسان ينفرد عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع الثقافة، و الحفاظ عليها، و كلّ مجتمع بشري له ثقافة خاصّة به تميّزه عن باقي المجتمعات، و قد تتمثل الاختلافات في اللّهجة، أو في نظم الزّواج، أو في الرّقصات الشّعبية، أو النظّم الاقتصادية، و ما إلى ذلك، و لقد اتّجه بعض الجغرافيّن إلى الأخذ بمبدأ الحتمية الجغرافية في تفسير ثقافة مجتمع ما و عبّروا عن ذلك المبدأ بمعادلة تقول :

---

(1) KLUCKHOHN C. and MURRAY H. : Culture and personality, a conceptuel scheme reprinted from american anthropology, Sts, Vol 46, 1944

عن أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 16

" البيئة = الثّقافة " أي أنّ البيئة هي السبب الوحيد لأشكال الثقافات. (1)

فالثّقافة كما يعيشها الأفراد ليست بالشّيء المنفصل عنهم و لا عن التّنظيم الاجتماعي الّذي يؤدي لحياة الجماعة و ظيفها تماما. فكل مجتمع له مساره و تطوّره التّاريخي و الاقتصادي.

و الاجتماعي الّذي ينفرد به، كما أنّ له نظمه الخاصّة، و نموذجه الفريد من الأدوار الثّقافية.

و ترى الدّكتورة سامية حسن الساعاتي في هذا الصدّد : " *أنّ الثّقافة من وجهة النّظر الأنثروبولوجية هي مجمل التراث الاجتماعي، أو هي أسلوب حياة المجتمع. و على ذلك فلكل شعب في الأرض ثقافة، بمعنى أنّ له أنماط معيّنة من السّلوك و التّنظيم الدّاخلي لحياته و التفكير و المعاملات الّتي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، و الّتي تتناقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتّصال و التّفاعل الاجتماعي، و عن طريق الاتّصال اللّغوي و الخبرة بشؤون الحياة و الممارسة لها.* ". (2)

فالثّقافة إذن هي منتوج بشري لا تعيش مستقلة بذاتها خارج المجتمع و بمعزل عنه و لها قطاعات مختلفة : قطاع فكري، قطاع شيئي، قطاع علائقي. و الوحدة الأساسية في كلّ قطاع هي العنصر الثّقافي و يرى الدكتور ابن نعمان : " *أنّ العنصر هو الأكثر بساطة و لا يمكن تحليله إلى عناصر أبسط منه.* ". (3)

---

(1) عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثّقافية، دار النّهضة العربية للطباعة، بيروت، لبنان، 1971، ص 101

(2) سامية حسن الساعاتي : الثّقافة و الشّخصيّة، ط 2، دار النّهضة العربية للطباعة و للنشر، بيروت، لبنان، 1983، ص 148

(3) أحمد بن نعمان : هدي هي الثّقافة، ط 1، شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة، الجزائر، 1996، ص 25

4 – الشّخصية :

كما اختلف العلماء في تحديد تعريف موحد للثقافة، اختلفوا في تحديد تعريف للشّخصية. و من خلال اطّلاعي على مجموعة من التعّاريف الموضوعة لتحديد معنى الشّخصية؛ تبيّن لي أنّ الشّخصية هي مجموعة من الدّلالات الّتي تكشف عن طبيعة الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات، و طبيعة البشر طبيعة مرنة، متغيّرة، و قابلة للتبدّل بفعل العديد من العوامل الاجتماعية، و التّاريخية، و من المجتمّع و التّاريخ تتبع المصادر الثقافية لمكوّنات الشّخصية القومية، و تعريف الدّكتور يوسف مراد في كتابه مبادئ علم النّفس العام صفحة 343 عيّنة من مختلف التّعاريف الّتي أوردها علماء النّفس و الأنثروبولوجيا إذ يقول : *" الشّخصية هي الصّورة المنظمة المتكاملة لسلوك فرد ما، يشعر بتميّزه عن الغير، و ليست هي مجرد مجموعة من الصّفات، و إنّما تشمل في الآن نفسه ما يجمعها، و هي الذات الشّاعرة، و كلّ صفة مهما كانت ثانوية تعبّر إلى حدّ ما عن الشّخصية بكاملها.* " إنّه يركز على الجانب النّفسي، و المزاج الشّخصي للفرد. بينما نجد عينة أخرى تتمثل في تعريف " كلوكهون و موراي " KLUCKHOHN and MURRAY : *" الشّخصية هي استمرار الأشكال و القوى الوظيفية الّتي تظهر من خلال تتابع العمليات و صور السلوك الظّاهري المنظمة و السائدة منذ الولادة حتّى الممات.* "(1)

---

(1) KLUCKHOHN C. and MURRAY H. : Personality in nature society and culture, Alfred A. Knopf N.Y. 1959, p. 49

عن أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 157

إنّه تعريف يمثل علماء الأنثروبولوجيا الّذين ينظرون إلى الشّخصية بأنّ لها علاقة و طيدة بالمجتمع، و يهتمون بالأفعال الّتي تصدر عنها، و السّلوك العام الّذي تسلكه مع الآخرين في البناء الاجتماعي. أي إنّها تتكوّن، و تنمو خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، فلا شخصية بدون مجتمع في نظرهم.

فالشخصية إذن، هي صيغة للاستجابات الّتي تكوّنت عند الفرد، و نمت على أساس من الخبرة، الّتي استمدها من تفاعله مع البيئة.

في هذا المجال يرى العالم الأنثروبولوجي " فرانز بواس " (BOAS) (1) : " *أنّ التّباين في الشّخصيات يرجع إلى البيئات الّتي ينشأ فيها الأفراد، بمعنى أن نوع الثقافة في شكلها المادّي أو اللاّمادي يكون له تأثير واضح في تكوين الشخصية.* ".

و يؤكد " كلوكهن " (KLUCKHOHN) أنّ النّظم الثابتة الّتي تواجدت قبل ميلاد الأفراد تؤثر عليهم بعد الميلاد، و يسير الأطفال طوال حياتهم تبعا للقواعد و المعايير الّتي تفرضها هذه النّظم، و يؤدّي ذلك إلى تنوع سلوك الأفراد في مواجهة المشاكل الاجتماعية الّتي تصادفهم من خلال التّرابط الوثيق بين الثقافة و الشخصية.

---

(1) Pierre BOUTE et Michel IZARD : Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, Presses Universitaires de France, 1991, Paris, p. 190-192

و كخلاصة لتعريف الشّخصية : " *هي ذلك الطّابع العام المميز و الثّابت – نسبيا – المكوّن من مجموع صفات الفرد الجسمية و النّفسية المتكاملة في انتظام، و ديناميكية، و المتكيفة مع البيئة الاجتماعية و الطّبيعية الّتي يعيش فيها الفرد، و يتبادل التّأثير معا.* ". (1)

5 – التفاعل بين الثقافة و الشّخصية

يعتبر موضوع الثّقافة، و الشخصية نقطة لقاء بين الأنثروبولوجيا، و علم النفس. أوّل من اهتم بهذه الدّراسة " ادوار سابير " (Edward SAPIR) كما قام كلّ من " كلاكهون و موراي " بدراسة مكونات الشخصية من الناحية البيولوجية و البيئة الفيزيقية، و الاجتماعية، و الثقافية، و كذلك الخصائص المزاجية، و الجماعات السّلالية و الدّور الاجتماعي.

و قد حدّد أربعة محدّدات أساسية للشّخصية و هي :

1) الجبلية " Constitutional "؛

2) عضوية الجماعة " Group menbership "؛

3) الدّور " Rôle "؛

4) و المركز الاجتماعي.

---

(1) أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 165

و في ضوء هذه الدّراسات يتجلىّ لنا أن المجتمع، و الثقافة، و الشخصية لا يمكن اعتبارها متغيرات مستقلة، فهي عبارة عن ظاهرة إنسانية و وحدة متكاملة؛ فالعلاقة إذن بين الثّقافة و الشّخصية علاقة أكيدة و قوية، و هي علاقة تكاملية تتبني على أساس التّأثير و التّأثر.

و أنّ التفاعل بينهما هو موضوع متّسع و حسب العالم "أبراهام كاردنر" (Abram KARDENER) (1939– 1949) فإنّه لكي نفهم التفاعل بين الثقافة و الشخصية لفرد ما، يجب أنّ نعرف التدريبات الثقافية في تنشئة الطّفل بالنسبة لكلّ مرحلة من المراحل النفسية الجنسية.

و ثمة اتّجاه آخر موجّه اجتماعيا بدرجة أكبر هو اتجاه "اريك فروم" (Erick FROMM) الّذي ينظر إلى الشّخصية باعتبارها نتاج القوى الثقافية، فرأى أنّ الاختلافات الثقافية ليست هامّة بسبب تأثيرها على المراحل النّفسية الجنسية و لكن بسبب تأثيرها على الجوّ العام السّائد في العلاقة بين الوالدين و الطّفل.

و من هنا يمكن حصر أوجه تأثير الثّقافة في الشّخصية في عوامل أربعة كما حدّدها الدكتور أحمد بن نعمان : (1)

---

(1) أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 253

1) التربية :

اتّفق كلّ من علماء الاجتماع، علماء النّفس، و الأنثروبولوجيين أنّ التّربية تؤثر في تكوين الشّخصية، فكلّ من "واطسون" (WATSON) و "لينتون" (LINTON) اهتما بدور التّربية في تكوين الشّخصية حيث يرى "واطسون" أنّ طبيعة الطّفل قابلة للتشكل في أيّة صورة يريدها أفراد الجماعة، و "لينتون" بدوره يرى أنّ الأطفال الّذين ولدوا في مجتمع معيّن يربون تقريبا بنفس الكيفية من جيل إلى جيل.

2) التّعلّم :

إنّ التّعلّم يمتدّ مع امتداد عمر الطّفل، فهو يتشرّب الثقافة، و يتبنّى القيم، و يكتسب الخبرات المختلفة الّتي توجّه سلوكه تبعا للأنماط الثقافية السّائدة في المجتمع من الولادة حتّى سنّ متأخّرة. و من ثمّ فلا يمكن أن يجبر الفرد الّذي يتبنّى هذه القيم أن يأتي من الأفعال ما من شأنه أن يكون متعارضا مع شخصيته.

فالثقافة هي الأساس في تكوين سمات الشخصية داخل المجتمع، و باختلاف الثقافات تختلف أشكال الشخصية.

و التعلّم يؤدّي دورا كبيرا في عملية اكتساب الأفراد للسّمات الّتي تشكل الشخصية الأساسية.

3) التّغيّر الثقافي :

ترى الأنثروبولوجية الأمريكية " مارغريت ميد " (Margaret MEAD) أنّ من أهمّ عوامل تغيّر الشّخصية العامّة للمجتمع هو التّغيّر الثقافيّ.

و تتضح تغيّرات الشّخصية عبر الأجيال. و كلّ عضو في كلّ جيل من الأجيال يساهم بقدر معيّن في عملية هذا التّغيّر.

و إنّ التّغير الثقافي سبب في تغيّر سمات الشخصية و هذا ما سبق و أن أشرنا إليه في تعريفنا للثّقافة؛ إذ توصلنا إلى أنّ الأنماط الثقافية هي في تغيّر مستمرّ عبر الزّمن.

4) الصّدمة الثقافية :

إنّ النّسق الثّقافي المضطرب الّذي يكون نتيجة تعرض المجتمع لظروف صعبة، يؤدي إلى نوع من الفقدان الثقافي نتيجة لتغير البنيات الأساسية للمجتمع، فيصاب أفراده بحالة من القلق النّفسي تؤثر على شخصياتهم.

إنّ علاقة الثقافة بالشّخصية هي علاقة تبادلية حيث أنّ الفرد يتأثر و يؤثر، و يأخذ و يعطى، و يغيّر و يتغيّر، و على الرغم من خضوع الأفراد لنظام تربويّ واحد، و أنماط ثقافية موحدة إلاّ أنه يوجد دور مؤثر في الثقافة يظهر من خلال حبّ الإنسان للتّطور نحو حياة أفضل في ظلّ الاختراعات و الاكتشافات للنّظم الثقافية الجديدة الّتي تحدث تغييرا جذريا في الأنساق الثقافية السّائدة.

و العلاقة بين الثّقافة و الشّخصية علاقة شديدة التعقيد و هما وجهان لشيء واحد : " *إنهما جزء من عملية التفاعل التي يتكيّف بها النّاس لبيئتهم الجغرافية و لمجموعاتهم الاجتماعية و لأنفسهم أيضا. و إن كلا من الثقافة و الشخصية تعيش في الفرد أو أنهما الفرد كما يعدل بالتّعلم.* ". (1)

و الخلاصة الّتي يمكن أن نخرج بها من هذه التّعاريف المحدّدة في عملنا هذا، هي أنّ هناك علاقة قوية و وثيقة، قائمة و ثابتة بين الثقافة و الشخصية تتسم بطابع التأثير و التّأثر، إلاّ أنّ الثقافة أكثر عطاء و تأثيرا في الشخصية، و أشمل مجالا و أوسع ميدانا للأبحاث الأنثروبولوجية.

---

(1) Spiro MEMFORD E. : Culture and Personnality, Psychiatry, 14, 1951, p. 43

اعتمدت الدّراسة على أدوات مستقلّة كلّ واحدة عن الأخرى لتحديد السّمات الأساسية للشّخصية النّدرومية.

- الأداة الأولى مع الأمهات؛

- الأداة الثانية مع فئة الرّجال المتعلمين و الحرفيين.

و كان ذلك ضرورة فرضتها منهجية الدّراسة العلمية لتحديد السّمات الأساسية للشخصية، إذ يؤكد الأنثروبولوجيون المشتغلون في الميدان، أنّ الشخصية هي إنتاج اجتماعي بالدّرجة الأولى، و يرتكزون على التشابه الموجود بين شخصيات أعضاء الجماعة الواحدة، فيهتمون بالأفعال التي تصدر عن الشخصية، و المتمثلة في السّلوك العام الذي تسلكه مع الآخرين في البناء الاجتماعي حيث يعتبرون الشخصية بمثابة التنظيم الذي يجمع اتّجاهات الفرد، و أفكاره و عاداته، و رغباته و قيمه، و تصوره لنفسه و لخطّته في الحياة. إذ نجد " ألبورت " (ALLPORT) القائل بأن : " *الشّخصية ذلك التّنظيم الدّيناميكي الذي يكمن بداخل الفرد، و الذي ينظم كلّ الأجهزة النّفسية و الجسمية التي تملي على الفرد طابعه الخاص في التّكيّف مع البيئة.* ". (1)

---

(1) ALLPORT G. : Pattern and growth in personality, 1952, p. 28
عن أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 158

إنّ استخدام الأداة لتحديد كيفية تنشئة الطّفل في أحضان الأمهات النّدروميات و توجيهه نحو التّعلّم و اختيار حرفة خاصة؛ يزودني بالأسس الّتي تقوم عليها تعميماتي بخصوص العلاقة بين هذه الخبرات، و بين شخصية الفرد النّدرومي من جهة، و من جهة أخرى تعمدت تحديد أنماط السّلوك الّتي يركز عليها الانتباه مما يترتب عليه الحاجة القليلة لحكم الملاحظ أو عدم الحاجة إليه، و المثال الرّئيسي هو :

أولا : الاختيار الموضوعي للشّخصية حيث يكون الملاحظ مطالبا بأن يجيب فقط على كلّ عبارة باستجابة بسيطة هي " نعم" أو " لا ".

كما أنني اعتمدت تاريخ الحياة للفرد النّدرومي كوثيقة شخصية لها دلالة خاصة عند التقييم و تاريخ الحياة كأيّ منهج للتقييم يمدنا بأساس يقوم على الملاحظة من أجل تكوين صورة عن شخصية الفرد، و القيام باستدلالات عن دوافعه، و كيف يرتبط بغيره من الناس، و من خلال وصف أحداث الحياة الماضية، أعني الطرف الّتي عاش بها الفرد النّدرومي حياته، نحصل على بعض المعاني للسّمات الّتي تتضمنها شخصيته و الارتباطات بين مثل هذه السّمات في الماضي و الحاضر و المستقبل المرتقب.

و يمكن الحصول على بيانات تاريخ الحياة في الأغلب عن طريق أسلوب المقابلة.

1) المقابلة :

" وليس هناك طريقة من طرق تقييم الشّخصيّة، و تحديد سماتها أوسع استعمالا من المقابلة، و ذلك لأنها بوجه عام أكثر المواجهات الإنسانية كشفا، و مرونة عندما تجري بمهارة، و تحت ظروف مناسبة. " (1)

لذلك قام البحث على أسلوب المقابلة المجدولة، أو المدعمّة بجدول خاص يحتوي على مجموعة من الأسئلة و هي المقابلة التّي سبق و أن استعملها علماء النّفس، و الاجتماع، و الأنثروبولوجيون كالعالم " هارفود و ماكوبي " (MACCOPY) و " سيرس " (SEARS) و " ليفين " (LEVIN) و " بروثرو " (PROTHRO) كما استخدمتها كلّ من الباحثة نسرين العمر و الدّكتورة أمل عوّاد معروف، و يتكون جدول المقابلة في شكله الكامل من 70 سؤالا، أمّا نوع المقابلة فهي المقابلة التّي تقع وسطا بين المقابلة الحرة و المقابلة المقيدة أو المحددة تحديدا تامّا أي التّي تتطلب الإجابة ب " نعم " أو " لا " أو الاختيار من متعدّد.

---

(1) ريتشاردسن لازاروس : الشّخصيّة، ترجمة محمد غنيم و مراجعة عمّان تجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص 233

استمارة

استمارة المعلومات من خلال المتغيّرات التّالية :

1 – التربية و التّعليم في الكتاتيب
2 – الممارسات و الحرف
3 – المقارنة بين الأسلاف و الجيل الصاعد

1 – السّلم
2 – الجنس
3 – المستوى :
- أمّي □
- ابتدائي □
- متوسط □
- ثانوي □
- جامعي □

4 – مكان الازدياد :
- ندرومة (المدينة) □
- ضواحيها (البادية) □

5 – مكان ازدياد الأب :
- ندرومة (المدينة) □
- ضواحيها (البادية) □

6 – الوظيفة حاليا :
أ – موظف □
ب – إطار □
ج – نشاط آخر □

التّربية :

* الرّضاعة :

(1) ماذا تفضلين لابنك ؟

- الرّضاعة الطبيعية :

نعم □

لا □

- الرّضاعة الصناعية :

نعم □

لا □

(2) كم تدوم مدّة الرّضاعة ؟

أ – أقل من ست (6) أشهر □

ب – من ست (6) أشهر إلى 12 شهرا □

ج – من 12 شهرا إلى ما فوق □

(3) ما هي الأسباب التي تجعلك تفضلين الرّضاعة الصّناعية عن الرّضاعة الطّبيعية ؟

.....

(4) إذا وجدت مرضعة، هل تقدّمين لها ابنك ؟

نعم □

لا □

(5) ما هو السبب في ذلك ؟

(6) هل تعرفين منافع الرّضاعة الطّبيعية ؟

(7) أذكر هذه المنافع ؟

.....

(8) ما هي الطّريقة المتبعة في إرضاعه رضاعة طبيعية ؟

(9) كم عدد مرّات الرّضاعة في اليوم و اللّيلة ؟

(10) هل هناك توقيت محدّد في الرّضاعة الطّبيعية ؟

نعم ☐

لا ☐

(11) لماذا أصبحت مدّة الرّضاعة عند أغلبية النساء قصيرة بالمقارنة مع أمهاتنا ؟

* التقميط :

(12) أيّهما تفضل لابنك ؟

- التقميط

نعم ☐

لا ☐

- التسرويل

نعم ☐

لا ☐

(13) لماذا يعتبر التسرويل أفضل في نظرك ؟

(14) كم تدوم عملية التقميط ؟

- من الشهر 1 إلى الشهر 2 ☐
- من الشهر 3 إلى الشهر 4 ☐
- من الشهر 5 إلى الشهر 6 ☐

(15) لماذا تضع الأمّ يدها على شكل علامة X فوق الطفل عند تقميطه ؟

.....

(16) هل بإمكانك ترديد بعض الأقوال الّتي ترددينها عند تقميط ابنك ؟

.....

(17) ما الفائدة من التّقميط ؟

(18) ما هي الأسباب الّتي تجعلك تدلكيه بزيت الزّيتون قبل تقميطه ؟

(19) ما هو السّر في جمع خرم الطفل قبل غروب الشمس ؟

* التتويم :

(20) كيف يتم تتويم ابنك ؟

(21) هل (تراري) عليه قبل أن ينام ؟

نعم ☐

لا ☐

(22) هل تحفظين بعض الأقوال المأثورة الّتي تراري بها على الطّفل قبل نومه ؟

نعم ☐

لا ☐

(23) هل ترغبين في حفظها ؟

نعم ☐

لا ☐

(24) هل هناك طرق أخرى تساعدين بها ابنك لينام ؟

نعم ☐

لا ☐

(25) أذكر بعض منها :

.....

(26) هل تظنين أنّ هذه الطّرق تمدّه بالعطف و الحنان ؟

نعم ☐

لا ☐

(27) هل يشعر بالاسترخاء و الرّاحة عند قيام بهذه الطّرق الجديدة ؟

نعم □

لا □

(28) ألا ترينها متعبة له ؟

نعم □

لا □

* التعليم :

(29) ماذا تفضل لابنك في بداية حياته الدّراسية :

الكتّاب □

الحضانة □

المدرسة مباشرة □

(30) هل يمكننا مقارنة رسالة الكتاب قديما برسالته اليوم ؟

نعم □

لا □

(31) لماذا لا يمكن ذلك ؟

.....

(32) كيف كان يعتبر الطفل الكتاب قديما ؟

.....

(33) الفقيد رجل متشدّد متعجرف، هل ترضى بهذه المعاملة لابنك ؟

نعم □

لا □

(34) ما دام هناك مراكز عديدة لمحو الأمية، فلماذا توجّه ابنك إلى الكتّاب ؟

.....

(35) ما هي السّن المحددة للإدخال الطّفل إلى الكتاب ؟

.....

(36) هل البنت كان لديها حق في التعلم داخل الكتاب ؟ نعم □

لا □

(37) ما هي الوسائل المستعملة للتدريس في الكتاب ؟

.....

(38) كيف يتمّ التدريس ؟

(39) هل الطفل في الكتاب له حقّ في العطلة ؟

نعم □

لا □

(40) متى تكون هذه العطل ؟

.....

(41) هل هناك برامج خاصّة يتبعها الفقيه في التّدريس ؟

.....

(42) من الّذي يقصد الكتاب ؟

.....

(43) من أين يأتون ؟

.....

(44) أين يقيمون ؟

.....

(45) هل كان للتّدريس بالكتّاب نتائج إجابية ؟

(46) أذكر بعض منها : .....

* الحرف :

(47) ندرومة مدينة الحرف، هل تراها مناسبة لابنك ؟

نعم □

لا □

(48) هل ترغب أن يتعلّمها ؟

نعم □

لا □

(49) أين يقضي وقت راحته ؟

في البيت □

في الشارع □

في الحقل □

في دكان حرفي □

(50) هل تحبّ أن يعتمد على نفسه منذ صغره ؟

نعم □

لا □

(51) هل بقيت الحرف موجودة بالمدينة إلى يومنا هذا ؟

نعم □

لا □

(52) ماذا بقي منها ؟

.....

(53) من الّذي يمارسها ؟

.....

(54) ما هي الأعمال الّتي عوّضت هذه الحرف ؟

.....

(55) ما هي الأسباب الّتي جعلتنها تندثر ؟

.....

(56) هل تعرف بعض الشخصيات النّدرومية البارزة ؟ نعم □

لا □

(57) من هو عبد المؤمن بن علي ؟

.....

(58) هل تعرف شخصيات أخرى ؟ أذكر البعض منها ؟

- 1
- 2
- 3
- 4

(59) يقول الحاج محمد النّقاش :

"شرق و غرب و روح غادي
عداد من ولادك في مناصب عاليين
حاكم و كاتب و شيخ قاضي
وعداد منهم في الوزارات واصلين "

(60) أذكر أسماء الشخصيات الموجودة في الدّروة :

- 1
- 2
- 3
- 4

(61) السّلم الاجتماعي النّدرومي المتفشي على مستوى الوطن و الخارج في الدّروة، فهل هذا يعني بمعنى السمو لهذه الكلمة متواصلا ؟

نعم □

لا □

(62) هل هناك علاقة بين الشخصيات هذه، و بين الأجيال الصاعدة ؟ – نعم □

– لا □

(63) فيما تتجسد هذه العلاقة ؟

.....

(64) هل يتم هذا التواصل بموعظة تاريخية ؟

نعم □

لا □

(65) ماذا يعني لك المثل الشعبي : " ندرومة فنجال و تخرج الرّجال "

.....

(66) " يكبر و يجود و يشبه الجدود "

نعم □

لا □

(67) لماذا الشاب المتحصل على شهادة عالية لا يريد البقاء في ندرومة ؟

.....

(68) هل تمانع أن تواصل ابنتك الدّراسة خارج ندرومة ؟

نعم □

لا □

(69) هل عندك فرق بين الذكر و الأنثى ؟

نعم □

لا □

(70) ماذا تفضل لابنتك ؟

1 – البيت تتعلم فيه حرفة □

2 – مستوى دراسي عالي □

و استخدمت أسلوب المقابلة في هذه الدّراسة لأنّها من أفضل الأساليب الّتي يمكن عن طريقها الحصول على بيانات كافية تتعلّق بالخبرات الأساسية لبناء الشخصية النّدرومية؛ و إبراز سماتها في عدد من المواقف المهمّة من الولادة إلى مرحلة التعلّم للعلم، و الحرف، و تدعيم كلّ مرحلة بمثال شعبيّ دون التّطرق إلى تحليله.

كما استخدمت أسلوب الملاحظة المباشرة لكوني أعيش وسط هذا المجتمع، و يرى " بروترو " (PROTHRO) في هذا الصّدد أنّ التوصل إلى معلومات صادقة من خلال أسلوب المقابلة يقتضي أن يكون القائم بها على دراية بالمجتمع الّذي يعيش فيه المبحوثون. كما يقتضي أن تصاغ أسئلة المقابلة بطريقة تجعل المبحوث يقدّم إجابات دقيقة و صريحة.

و في هذا الصّدد يقول د. أحمد بن نعمان في كتابه سمات الشخصية الجزائرية.

"إنّ محاولة دراسة الشّخصيّة القومية لأيّ مجتمع، و تحديد سماتها عن بعد، أو من الخارج، دون المعايشة الطّويلة لواقع هذا المجتمع و الغوص في أعماقه، و امتلاك ناصية أدوات التّعبير المستعملة لدى أفراده هو ضرب من التّخمين الّذي لا يستند إلى أساس علمي، واحبه أشبه ما يكون في ذلك بمن يحاول تحديد العلّة في باطن المريض دون إجراء التّحاليل المعملية، و استخدام الأشعة المحدّدة لنوع المرض و مكانه في جسم الإنسان." (1)

---

(1) أحمد بن نعمان : كتاب سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النّفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 442

و قد توفّر هذان الشّرطان في الدّراسة الحالية إذ تعتبر الباحثة فردا من أفراد هذا المجتمع، فنّدرومة هي المدينة الأمّ الّتي ولدت و نشأت في أحضانها، و تربت و تعلّمت بها، و علّمت كأستاذة بمدارسها، و كان موقف المقابلة أقرب ما يكون إلى المحادثة العادية.

و ركّز البحث على مجموعات الأسئلة الّتي تتعلق بالتنشئة الاجتماعية وسط الأسرة النّدرومية، و بالتعلّم و بالتدريب على الحرف التّقليدية الّتي حدّدتها الدّراسة.

3 – العيّنة

للحصول على المعايير " Norms " الّتي تسمح بتفسير الصّفات السّلوكية الّتي اعتمدتها في دراستي؛ اخترت المادّة المعيارية من المجموع العام للأسر النّدرومية، و هي عيّنة طبقية مقصودة؛ لم يكن القصد منها أن تكون عيّنة ممثلة للمجتمع النّدرومي بأكمله، و إنّما كان الهدف الرّئيسي من اختيارها يتركز في تمثيلها لمتغيّرات البحث الأساسية، و قد تمّ توزيع العيّنة وفقا لبعض المتغيّرات الّتي تخدم الخبرات التّالية :

الرّضاعة، التّنويم، التّقميط و التعلّم (للعلم و للحرف التقليدية)، فجاء التّقسيم للعيّنة في مجموعتين :

- مجموعة النساء؛
- و مجموعة الرّجال.

و هي عيّنة تحقق التّمثل لمختلف الفئات داخل المجتمع الأصلي (موضوع الدّراسة).

فكانت الطّبقة الأولى : من الأمّهات الّتي يتراوح سنهّن من 60 سنة إلى ما فوق.

الطبقة الثانية : من الأمهات الّتي يتراوح سنهّن من 20 سنة إلى 40 سنة.

العيّنة الثانية : تتمثل في فئة الرّجال. حيث أخذ ت من هؤلاء 15 فردا. و لقد اخترت هذه الفئة من الشباب الّذين يتراوح سنّهم ما بين 20 إلى 30 سنة حتّى أتمكّن من معرفة مدى تعلّقهم بالعلم و الحرف. فكان تقسمي لهذه الفئة كالتالي :

- 5 شباب من أسر ذات وسط علمي؛
- 5 شباب من أسر ذات وسط حرفي؛
- و 5 شباب من أسر ذات وسط فلاحي.

و سيتضح الأمر جليا من خلال الجداول المقدّمة في الدّراسة.

اعتمدت هذا الاختيار حتىّ تكون المقارنة بين الفئتين جيّدة، حيث أنّ الطّبقة الأولى من النساء تمثل جيلا قديما عاش أحداث الماضي بظروفه السّياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية.

أمّا الطبقة الثّانية : و الّتي يتراوح عمرها ما بين 20 سنة إلى 40 سنة تمثل الجيل الحاضر بظروفه السّياسية، الاقتصادية، الاجتماعية و الثّقافية.

و أهملت الفئة الّتي يتراوح أعمرها ما بين 40 سنة إلى 50 سنة لأنها تمثّل الطّبقة الوسطى بين الجيل الماضي و الجيل الحاضر، و لا يمكن اتخاذها كمعيار للمقارنة.

و قسمت الطّبقة الأولى (60 سنة فما فوق) بدورها إلى قسمين :

1 – القسم الأوّل : يتمثل في 10 أمّ متعلّمة.

2 – القسم الثاني : و يتمثل في 10 أمّ أمية.

و نقصد بالمتعلّمة هنا في القسم الأوّل : الّتي زاولت الدّارسة في المدارس أثناء الاستعمار الفرنسيّ.

أمّا الأمية في القسم الأوّل : دائما الّتي لم يكن لها حظ في الالتحاق بالمدارس أثناء الاستعمار الفرنسيّ.

و قسمت الطّبقة الثانية (20 سنة إلى 40 سنة) بدورها إلى قسمين :

1 – القسم الأوّل : يتمثل في 10 أمّ متعلّمة.

2 – القسم الثاني : و يتمثل في 10 أمّ أمية.

و نقصد بالمتعلّمة هنا الّتي لها مستوى دراسي يتراوح ما بين المستوى الثانوي والمستوى الجامعي.

أمّا الأمّ الأمية فهي الّتي لم تدخل المدرسة أو كان تعليمها يقتصر على المرحلة الابتدائية فقط.

جدول رقم 1

توزيع أفراد العيّنة الأولى للبحث : النساء

الخلفية	المتعلمات		غير المتعلمات		المجموع
	من 60 سنة فما فوق	من 20 سنة إلى 40 سنة	من 60 سنة فما فوق	من 20 سنة إلى 40 سنة	
الأسرة البدوية	5	5	5	5	20
الأسرة الحضرية	5	5	5	5	20
المجموع	10	10	10	10	40

تمّ تحديد الخلفية للأسرة استنادا لما يلي :

1 – الأسرة الّتي ولد أفرادها و نشأوا بضواحي نّدرومة و الّتي تعتبر ذات أصل بربري كما سنشير إليه في الفصل التمهيدي من البحث، و الّتي دخلت المدينة تحت ضغوطات الاستعمار الفرنسيّ و خاصة سنة 1954 كما أشار إليها " قيوم " (Gilbert GRANDGUILLAUME) في كتابه Nédroma, l'évolution d'une Médina، صفحة 147، حيث أثبت الإحصائيات الّتي قام بها في هذه السنة أنّ 3680 (1) مسنّا لم يولدوا بنّدرومة المدينة، حيث توصل إلى أنّ أصل هؤلاء من ضواحي المدينة و من المدن المجاورة و حدّدهم كالأتي :

ملاحظة :

لاحظنا في الجدول المذكور أعلاه أن مجموع الأرقام الموجودة به تساوي 3635، و هذا يختلف عن الرّقم الّذي حدّد أي 3680.

---

(1) Gilbert GRANGUILLAUME : Nédroma, l'évolution d'une Médina, Leiden E. J. Brill, 1976, p. 147

جدول رقم 2

إحصائيات مواليد ضواحي ندرومة سنة 1954

الضواحي	العدد	النسبة المئوية
بني منير	1 135	31,22%
جبالة	1 033	28,42%
بني مسهل	572	15,74%
السواحلية	385	10,59%
بني عابد	26	0,72%
بني خالد	13	0,36%
مسيردا	41	1,13%
بني وارسوس	0	0,00%
بني واسين	13	0,36%
تلمسان	81	2,23%
الغزوات	46	1,27%
مغنية	76	2,09%
مدن مختلفة	214	5,89%
المجموع	3 635	100%

رسم بياني للجدول رقم 2

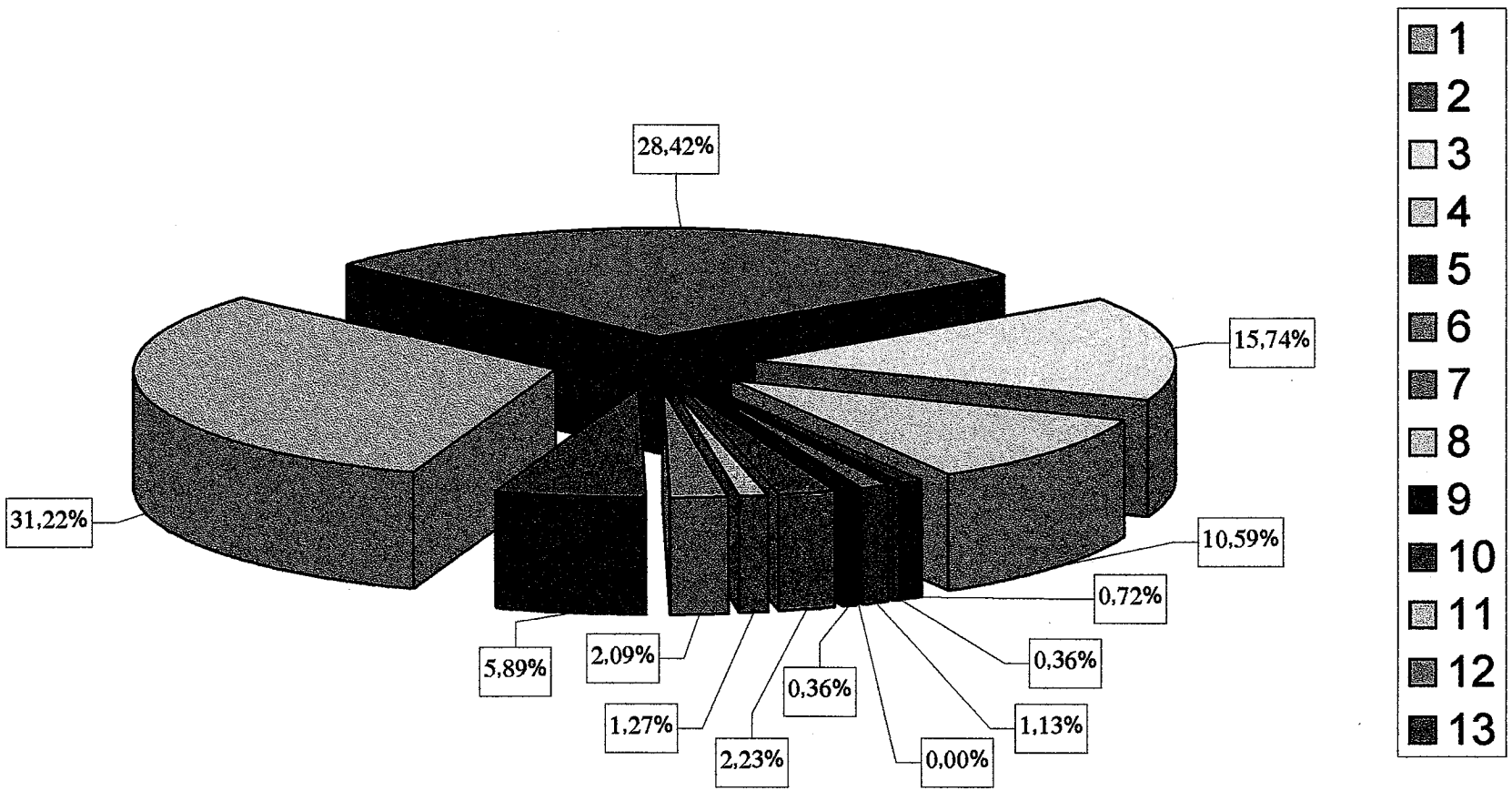

و حسب الحالة المدنية لسنة 1888 (1) حدّد العائلات النّدررمية حسب أسمائها صفحة 143، و هو الجدول رقم 3 :

الاسم الأصلي	الاسم للحالة المدنية
عدّو	عدّو، قندوز، خلاّدي، ليمام
عربية	درقاوي، فلاّح، عربية
عزوز	عزوز،ابن عزوز، حقّاف
بحري	بحري، جبّارة
بوعناني	بوعناني، شرقي
بوعزّ	مسكين، زيدالخيل
الشريف	تلمساني
شقرون	عمر، شاوش، شقرون، داهور، فاتير، نادير، سماش
ديدي	ديدي، حمشي، سنا
ضيف	ضيف، لام
دندان	دبّاخ، دندان، زمري
جبّار	بوعلي، دبّاح، جبّار، كبير
جنّان	شاكر، جنّان، جنّاس، فريدي
فتّوحي	عالم، غرناطي
غماري	عطاب، بكّوش، بالفاطمي، قباطي، كبداني، ني
قرموش	علبيد، قرموش
حوزي	ابنحوزي، حوزي، مازوزي

(1) Gilbert GRANGUILLAUME : Nédroma, l'évolution d'une Médina, Leiden E. J. Brill, 1976, p. 143

الاسم الأصلي	الاسم للحالة المدنية
حياني	حيّان، حياني
لامين	عسكر، بسام، فهيم، قرار، قرماد، لقل، ملاّح، نعاس، طنجاوي، زبّوج
مديوني	مديني، مديوني
ميدون	جزّار، ميدون
ناصر	قهواجي، ناصر، شريف
نقّاش	غنيم، قجّار، قوريش، اللطار، نقّاش
راشدي	معروف، راشدي
رحّال	لصاصي، رحالي، رحّال
رحمون	بللزعر، بن رحموني، شريفي، مختاري، رحمون، صنّاعي
رمضان	شرفي، مرابطي، وجداوي، رمضان، رمضاني، روشيدي
ركّاب	شعبان، غرّاس، ركّاب، طمّار
سعيدي	جرّاح، سعيدي
سلّس	بن سلس، حانوتي، سلّس
صمود	عسلي، بناع، جزّار، بوليّلة، غربي، حاجي، حاكم، حققي، قاسي، قادري، ساهل، سبابي، صمود، صمودي، طاني، طراش، يعقوبي، زيّان
سنوسي	صمصار، سنوسي، سنوساوي
زرهوني	عاشور، بن زرهوني، شوّال، جلطي، فلاّحي، خدّام، احضاري، مسلم، صباغي، سدّار، طرّاح، زرهوني

أمّا العيّنة الثّانية الخاصّة بالرّجال فاخترتها لتخدم الخبرة المتمثّلة في التّعلم سواء للعلم، أو للحرف التّقليدية؛ و الّتي تمكنني من الإجابة عن الأسئلة الّتي تعترض طريقي في هذه الدّراسة. فكان عدد هؤلاء الرّجال 15 شابا سبق ذكرها بالتفصيل. و ذلك نظرا لقلة الحرف و انتشارها في هذه المدينة يوما بعد يوم. كذلك نظرا لكون هؤلاء الشباب أصبحوا لا يولون أهمية لطلب العلم، فأردت أن أتعرّف من خلالهم على سمات الشّخصية النّدرومية :

– هل الشّخصية النّدرومية تحمل نفس السّمات الّتي حملتها الأسلاف ؟

– هل هناك علاقة بين الشّخصيات التّاريخية و الشّخصيات الحالية ؟

– ما هي طبيعة هذه العلاقة ؟

– فيما تتجسد ؟

يقول مفدي زكريا :

و تنجب نّدرومة الخالدين فيعلي ابن علي بنا الجبينا

– فهل فعلا مازالت نّدرومة تنجب الخالدين ؟

– أين يتجلىّ هذا الخلود ؟

– و ما هو دافعه ؟

يقول المرحوم الحاج محمّد النّقاش النّدرومي :

شرق و غرّب و روح غادي عداد من أولادك في مناصب عاليين
حاكم و كاتب و شيخ قاضي و عداد منهم في الوزارات واصلين

من خلال هذه الأبيات الشعرية نستشفّ أنّ السّلم الاجتماعي النّدرومي المتفشي على مستوى الوطن و الخارج في الدّروة.

– فهل هذا يعني ثقافيا بمعنى السّمو لهذه الكلمة متواصلا ؟

– إذا كان متواصلا، هل يتم بموعظة تاريخية حقيقية ؟

– أم يتم على باب التّبني لهذه الشخصية ؟

– فهل هذا يعني أنّه سوف يبقى فعالا على المستوى النّفسي الّذي يدخل ضمن المفاهيم المتبلورة حول موضوع نظرية البناء الأساسي للشخصية ؟

و الّتي ترى أنّ :

" *خضوع الأطفال في المجتمع الواحد لخبرات ذات طابع واحد و استجاباتهم المشابهة لتلك الخبرات يؤدّي حتما إلى طبع شخصياتهم المشابهة بسمات مشتركة.* ". (1)

كما تسمح لي بالمقارنة بين الشّخصيات النّدرومية ذات المستوى العالي و الّتي شغلت و تشغل مناصب عالية، و بين الشّباب الصّاعد الّذي مازال في طور التّعلّم، حيث نعلم أنّ جل هذه الشّخصيات المتعلّمة بدأت تعلّمها في الكتاتيب القرآنية، فدرست فيها القرآن، و مبادئ اللّغة العربية على مشايخها، ثمّ التحقت بالمدارس الموجودة بنّدرومة، تلمسان، الجزائر العاصمة، المغرب الأقصى، فرنسا، و مختلف الدّول الأوروبية، إضافة إلى هذا تعلّمت هذه الفئة

---

(1) KARDENER A. : The concept of basic personality in personal character and cultural milieu, N. Y., Syracuse C.N.V. Press 1964, p. 462-463

عن أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الانثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 284

الحرف التّقليدية و مارستها حبّا فيها، و في العمل، و خير دليل على هذا شخصية حمزة بن رحال الّذي درس في الكتاتيب القرآنية، ثمّ واصل دراسته في المدارس الّتي فتحت أبوابها سنة 1865 بندرومة ، ثمّ واصل دراسته بالجزائر العاصمة حتى سنة 1974.

كان أوّل طالب عربي يتحصل على شهادة البكالوريا على مستوى الوطن الجزائري، فلقب بخليفة الآغا سنة 1876، ثمّ قائدا لنّدرومة سنة 1878.

و نقصد بالأسر ذات وسط علمي، أي الأسر الّتي عرف أفرادها بمستواهم العلمي العالي أبا عن ابن أمثال رحالي، زرهوني، صنهاجي، ابن عمّار، غماري، غزالي، جبار، و الّدين سمحوا حتّى لبناتهم بمزاولة الدّراسة خارج مدينة ندرومة، حيث كان يعتبر هذا الأمر (أي تعلّم الفتيات) ضربا من الخيال في مثل مدينة صغيرة كندرومة.

و نقصد بالأسر ذات الوسط الحرفي أي الأسر الّتي يمارس جميع أفرادها نساء، رجالا و أطفالا مختلف الحرف التّقليدية، و من بين هذه العائلات المشهورة، طالب، غفور، غماري، قرماد، ديدي، ... موزّعين في أحياء معروفة بالحرف، كحي درب سيدي بوعلي، درب الخربة، درب التربيعة، درب السّنيما، درب اليهود، يمارسون مختلف الحرف التّقليدية و المتداولة في الوسط النّدرومي.

أمّا الأسر ذات الوسط الفلاحي، نقصد بها الأسر الّتي كانت تملك أراضي زراعية، و كانت تسهر على خدمة الأرض و زراعتها أبا عن ابن.

جدول رقم 4

وجهة الشباب في تعلم العلم و الحرف

الخلفية	يفضلون تعلّم العلم		يفضلون تعلّم الحرف		وجهة أخرى		المجموع	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
وسط علمي	2	13,33%	0	0,00%	3	20,00%	5	33,33%
وسط حرفي	1	6,67%	3	20,00%	1	6,67%	5	33,33%
وسط فلاحي	2	13,33%	0	0,00%	3	20,00%	5	33,33%
المجموع	5	33,33%	3	20,00%	7	46,67%	15	100%

رسم بياني للجدول رقم 4

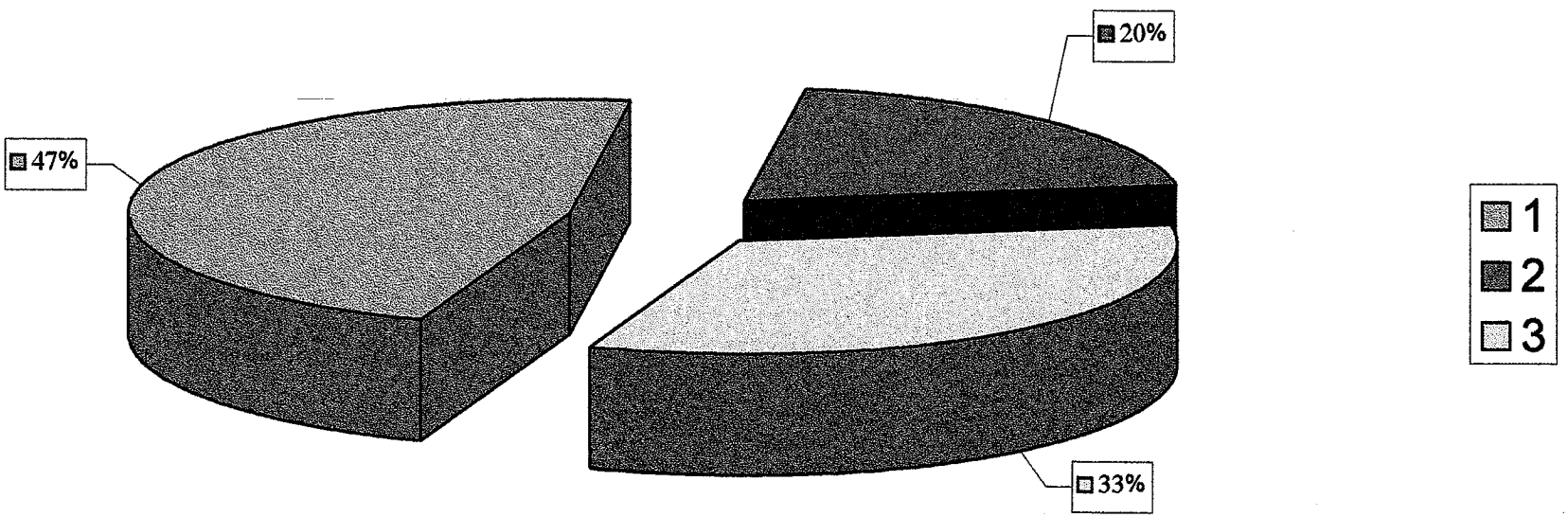

4 – المنهج المستخدم :

يقوم منهج دراسة الشّخصية على تحديد المادّة الثقافية، لذلك كانت الانطلاقة من الثقافة لفهم الشّخصية، و ليس العكس حيث يرى " كلوكهون " (KLUCKHOHN) أنّنا إذا توصلنا إلى معرفة أنماط الثقافة السّائدة فإنّنا نحرز بالضّرورة كسبا كبيرا، و تقدّما ملحوظا في معرفة الشّخصية. (1)

و بما أنّ موضوع الثّقافة، و الشّخصية يدرس كأحد فروع الأنثروبولوجيا الثّقافية يتبع هذا الفّرع المنهج العام للعلوم الاجتماعية، و هو منهج لا يختلف عن المناهج الأتي تستخدمها العلوم الطّبيعية في دراسة الظّواهر الطّبيعية حيث يشتركان في :

1 – دراسة الظّاهرة الاجتماعية دراسة موضوعية بحيث تعبّر عن حقيقة ما هو كائن بدون تدخل الميول، و المصالح الشّخصية.

2 – دراسة الظّاهرة دراسة دقيقة.

3 – دراسة الظّاهرة الاجتماعية للوصول في النّهاية إلى القانون الّذي تخضع له الظّاهرة.

---

(1) أحمد بن نعمان : سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النفسيّة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 15

و تتلخص أهم الطّرق المتبعة في بحث الأنثروبولوجيا الثقافية فيما يلي :

1) الملاحظة بالمشاركة.
2) المقابلة غير الموجّهة.
3) المقابلة الموجّهة.
4) الاختبارات النّفسية.
5) طريقة المقارنة.
6) دراسة سير الحياة.
7) دراسة الأدب الشّعبي.
8) دراسة الأنماط الثقافية.

و تمشيا مع طبيعة المدخل المحدّد لدراسة الشّخصية النّدرومية، و تحديد سماتها : اتبعت المنهج التّحليلي للخبرات التي يمر بها المولود من الولادة إلى النّمو، و ذلك للأسباب الآتية :

1 – يؤمن العلامة " مالينوسكي " (MALINOVSKY) بأنّه : " *لا يمكن فهم ثقافة شعب من الشعوب إلاّ إذا درست دراسة عميقة مركّزة، و قد نادى بضرورة القيام بدراسة ميدانية مركّزة واحدة على الأقل قبل التّخصص في الأنثروبولوجيا الثقافية.* ". (1)

2 – النّظم التّربوية تمثل عاملا حاسما في تكوين شخصية الفرد في مرحلة الطّفولة، ثمّ يستمرّ هذا التّأثير مع مراحل النّمو و هذا ما يدعو إليه أصحاب نظرية البناء الأساسي للشّخصية.

---

(1) عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النّهضة العربية، 1971، ص 292

3 – لذلك قام هذا التّحليل على افتراضيين اثنين :

أ – وجود أنماط عامّة تمثل أكثر حالات السّلوك تكرارا في المجتمع، و بالتّالي وجود سمات رئيسية مشتركة للشّخصية النّدرومية.

ب – استنتاج بعض السّمات و خصائص الشّخصية عن طريق مراقبة الأنماط الثقافية التي يمر بها الأطفال في المرحلة الأولى من الولادة إلى النمو.

و بناء على ما تقدم فإنّني مستلزمة بالمناهج المتكاملة في هذه الدّراسة :

أ – منهج تحليل الأنماط الثّقافية الّتي يمّر بها المولود و العاكسة للسّمات الأساسية للشّخصية.

ب – منهج الملاحظة المباشرة لسلوكات الأفراد داخل المجتمع باعتباره من أفضل المناهج المستعملة في الدّراسات الأنثروبولوجيا لمعرفة مدى ما إذا كان أفراد المجتمع الحاملين لثّقافة واحدة يشتركون في سمات معيّنة للشّخصية؛ و الّتي تكون عامّة لدى أفراد المجتمع الواحد، و المراد اكتشافها، و تحديدها في مجتمع البحث، و هو الهدف الأساسي من هذه الدّراسة.

5 - تحليل البيانات

تتطلّب دراسة أساليب الأمهات في الخبرات الّتي يمرّ بها المولود في سنواته الأولى تحديد سمات شخصيته، وجود مجموعة من الأبعاد العّامّة الّتي تعبّر عن هذه الأساليب، كما تتطلّب عملية عقد المقارنات بين الأمهات توفّر مثل هذه الأبعاد، و البعد نقصد به مظهر السّلوك القابل للوصف و التّعريف، و الّذي يمكن تمييزه بدقّة و وضوح عن باقي المظاهر السّلوكية الأخرى.

و عندما يتمّ التمّييز بين جميع أساليب الأمّهات بالنّسبة لجميع الأبعاد المستخدمة في الدّراسة يتوفّر للبحث فرصتان مهمّتان هما :

1) يمكن مقارنة أساليب التّربية الاجتماعية لمجموعة الأمّهات النّدروميات مع أيّة مجموعة أخرى قيست بنفس الطّريقة.

2) يمكن دراسة العلاقة بين خبرة معيّنة من الخبرات الّتي يمرّ بها الأطفال، و الّتي تحدّد سمات الشخصية بالنّسبة لجميع الأطفال.

إذن فاختيار مجموعة من الأبعاد تزوّد البحث بالأساس العام للمقارنة بين الأساليب في تحديد سمات الشّخصية، و هذا ما يهدف إليه البحث الّذي نحن بصدد دراسته، و قد تمّت عملية اختيار هذه الأبعاد على أساس من المفهوم الّذي تتبنّاه الدّراسة حول الخبرات الّتي يمر بها الطّفل خلال مراحل نموه، و منذ اللّحظات الأولى للحياة بعد الولادة، و حول سمات الشّخصية و الّذي يمكن تلخيصه كالآتي :

يمر الطفل خلال مراحل نموّه، و منذ اللّحظات الأولى للحياة بعدد من الخبرات، و تعتبر الأمّ عاملا مؤثّرا في درجة تعلّمها، و في فعالية هذا التعلّم فضلا عن تأثيرها في شخصيته، و انطلاقا من هذا المفهوم اخترت الأبعاد الّتي نقيس بها، و عن طريقها أساليب الأمّهات في تعليم هذه الخبرات للأطفال، و ذلك بهدف عقد المقارنات بين مجموعات الأمهات المختارة للدّراسة و أثرها في تحديد سمات الشّخصية.

هذه الأبعاد هي :

1) نوعية الرّضاعة :
الدّفء و الحنان في مقابل البرود و العدوان و القلق و التّوتّر.

2) كيفية التّنويم :
الدّفء و الحنان في مقابل البرود و العدوان.

3) كيفية التقميط :
الحرص على النّشاط و الحيوية و تحمل المسؤولية.

4) نوعية التعلّم :
الأصالة الارتباط بالعادات و التقاليد.

تمّ قياس هذه الأبعاد لكلّ موقف من مواقف الخبرات الّتي يمرّ بها الطّفل منذ ولادته إلى نموّه؛ و الّتي ركزّت عليها الدّراسة على اعتبار أنّ هذه الأبعاد تحدث أثرها من خلال هذه المواقف.

6 – الدّراسات الاستطلاعية :

لقد قمت عدّة مرات بالدّراسة الاستطلاعية على عيّنة من الأمهات المتعلّمات، و غير المتعلّمات من الجيران، و الأقارب، و الصّديقات، و من أسر مختلفة : بدوية الأصل (القبايل)، أو حضرية الأصل (المدارمة)، جميعهن أمّهات لبنين و بنات يتراوح أعمار هؤلاء بين 55 سنة إلى 5 سنوات. كما أنّني اتصلت مرارا، كلّما سمحت لي الفرص، ببعض الشّخصيات المتعلّمة النّدرومية المتواجدة خارج المدينة و الّتي تشغل مناصب عالية على مستوى الوطن أو الخارج، كتلمسان، مدينة وهران، مدينة الجزائر، فرنسا. إذ أنّ هذه الفئة بمجرد أن حصلت على مستوى ثقافي عالي أصبحت المدينة الصّغيرة الأمّ لا تناسبها رغم ارتباطها الوثيق بها و اعتزازها في الانتماء إليها.

كما أنّني استنطقت تلامذتها، و استفسرتهم عن التعلّم في الكتاتيب القرآنية، و علاقتهم بالعلم، و بالحرف التّقليدية.

و تجوّلت في الأحياء القديمة للمدينة حتّى أتمكن من التّعرف على الحرفيين الّذين مازالوا يمارسون الحرف التّقليدية و مدى تعلقهم بها. و ذلك بغية التّعرف على ما يلي :

- تحديد المدّة الّتي تستغرقها المقابلة.
- تحديد صعوبات اللّغة للمبحوثين.
- جسّ النبط عند الطّلبة لمدى تعلقهم بالعلم، و الحرف، و طبيعة هذا التّعلّق.

فمن حيث طول المدّة، وجدت الباحثة أنّها تستغرق مدّة تتراوح ما بين ساعة إلى ساعتين، خاصة مع الأمهات المسنّات، و الّتي تعاني من مشكلة السّمع.

أمّا من حيث اللّغة، فلقد ظهر أنّها لغة سهلة، مفهومة و مناسبة لموقف المقابلة عموما حيث كنت أعتمد على المحادثة بالدّارجة النّدرومية في أغلب الأحيان.

و قد أظهرت الأمهات حماسا كبيرا للمقابلة، و ما يجري فيها، و تحدثت بإسهاب، و خاصة المسنّات عن تربية أطفالها قديما، و عن الأساليب الّتي اتبعنها، و أظهرت اعتزازها، و افتخارها بهذه الأساليب، و بأخلاق و صفات أبنائها كما تعرضت لطرق التّربية الحديثة، و الأساليب الجديدة و الّتي تسميها " بتربية بنات اليوم "، و تحدثت عن آمالها في مستقبل أحفادها، و سألت كثيرا عن أساليب نافعة تقود إلى الشّخصية المثالية و أوصت بالرّجوع إلى الأساليب القديمة فهي الأفضل في رأيها، و تبقى متمسّكة بها و توصي كناتّها باتباعها.

أمّا الشّخصيات المتعلّمة فلقد رحّبت بالفكرة، و شجعتني على مواصلة العمل، و على حثّ الأجيال الصّاعدة في أن تكون لها شخصية طموحة كشخصية الأسلاف النّدروميين. و أن ينطبق هذا المثل الشعبي المشهور دائما على هذه المدينة " *ندرومة فنجال و تخرّج الرّجال*. ".

أمّا الشّبان فلقد نظر كلّ واحد إلى الموضوع حسب رأيه و ما تمليه عليه شخصيته و هذا ما سنتوصل إليه من خلال بحثنا هذا.

سابعا : محتويات الدّراسة

تتكوّن هذه الدّراسة من مقدّمة تحتوي على :

أولا : الأهمية العلمية لموضوع الدّراسة
ثانيا : الدّراسات السّابقة
ثالثا : مشكلة البحث و أبعادها
رابعا : فروض البحث
خامسا : تحديد المفاهيم
سادسا : تقنيات البحث :

1 – المقابلة
2 – الاستمارة
3 – العيّنة
4 – المنهج المستخدم
5 – تحليل البيانات
6 – الدّراسات الاستطلاعية

سابعا : محتويات الدّراسة
ثامنا : الصّعوبات الّتي اعترضت الباحثة في موضوع الدّراسة

فصل تمهيديّ : التعريف بمدينة ندرومة :

1 – جغرافيا
2 – تاريخيا
3 – السكان

الفصل الأوّل : الرّضاعة

الفصل الثاني : التنويم

الفصل الثالث : التّقميط

الفصل الرّابع : التعليم

الفصل الخامس : الحرف

الفصل السادس : السّمات المستخلصة من الدّراسة الميدانية

الخاتمة

و لقد توصلت من خلال هذه المقابلة و الملاحظة المباشرة و تحديد الأبعاد إلى حصر أهم السّمات و الّتي تنقسم في مجتمع البحث إلى قسمين :

1) سمات متأصلة، عريقة في الجيل النّدرومي القديم.

2) سمات جديدة و الّتي بدأت تظهر في الجيل الجديد خاصة في السّنوات الأخيرة نتيجة الخبرات الّتي صار يمرّ بها الفرد النّدرومي و الّتي يعود السّبب فيها إلى عدّة عوامل : كالعامل الثقافي، الاقتصادي، السّياسي ...

أ – أهمّ السّمات المتأصلة في الفرد النّدرومي

1 – الحياء و الوقار.
2 – الطّاعة و الاحترام.
3 – المعاملة بعطف و حنان و إحساس.
4 – السّترة و التّكتّم.
5 – القناعة و البساطة في العيش.
6 – الكلمة الطّيبة في المعاملات.
7 – الاتّزان في إصدار الأحكام.
8 – الوضوح.
9 – الواقعية.
10 – جدّي، حريص في العمل.
11 – الشّدة في المعاملة، و إصدار الأحكام أثناء تحمّل المسؤولية.
12 – مقت الادّعاء و التظاهر.
13 – تقدير العامل المادّي (المال).
14 – الاقتصاد في النّفقة.
15 – حساب العواقب، و التّخطيط للمستقبل.
16 – التعاوّن (بتويزة).
17 – الحياد و الانحياز للعنصر النّدرومي.
18 – فخور بأصله، معتزّ بانتسابه للمدينة، و بماضيه و ماضي أجداده.
19 – المحافظة على اسم العائلة، و شرفها.
20 – صلة الرّحم.
21 – الحنين إلى المدينة، و الوالدين.
22 – التمسك بالعادات، و التقاليد.
23 – التعلّق بالحرف، و التجارة.

24 – الحرص في العمل.
25 – الجودة و الإتقان.
26 – تقدير العمل الشريف.
27 – كره التّطفل على المهن.
28 – عدم الاتكال، و الاعتماد على النفس.
29 – حبّ المناصب العالية، و الأشراف.
30 – حبّ التّغرّب و الخروج من المدينة لطلب العلم.
31 – الطلاقة في الكلام و المعاملة.
32 – يأبي الضّيم و الإهانة.
33 – عدم تقبل النّقد.
34 – الغرور و التّباهي بالأصل النّدرومي.
35 – الكرم و حسن الضّيافة.
36 – الاتّعاظ من دروس الماضي.
37 – التّدين.
38 – الإيمان بالقضاء و القدر.
39 – اللّهو، و المرح، و التمتع بالموسيقى الأندلسية و المدائح الدّينية.

ب – السّمات الجديدة الّتي بدأت تظهر في الجيل الجديد

1 – عنيف، و عنيد.
2 – الوقاحة في المعاملة.
3 – حبّ المال، و الاتّكال.
4 – منفعل، متوتّر.
5 – أنانيّ.
6 – طموح إلى أكبر ما في يده.
7 – ماديّ.
8 – التكلّف و التعقيد في المعيشة.
9 – الاستنكاف على العمل اليدوي.
10 – الاستنكاف عن طلب العلم.
11 – عدم التّعاون (تويزة).
12 – المسؤولية ملقاة على الوالدين.
13 – التحيّز و الانحياد.
14 – استحداث بعض البدع.
15 – التمتع و الاستماع بأغاني لا تمت بصلة لثراثه.

ثامنا : الصّعوبات الّتي اعترضت الباحثة في موضوع الدّراسة

إنّ صعوبات هذه الدّراسة تعدّدت، و اختلفت تبعا لأهمية الموضوع المدروس، و اختلاف الجوانب الّتي يتناولها.

و إنّ موضوعا كهذا ليس من السّهل الخوض فيه، لأنّه يعالج من أكثر من زاوية، و أكثر من معالجة، فهناك المعالجة الثّقافية، و المعالجة السّيكولوجية و المعالجة الاجتماعية، و المعالجة الاجتماعية الثّقافية.

فكانت معالجتي للموضوع معالجة اجتماعية ثقافية، حيث نتناول العلاقات الاجتماعية المحدّدة لسلوك النّاس في ثقافة، و مجتمع معيّن. كما أنّ السّمات صفات غامضة مبهمة، و تحديدها يتطلّب جهدا فكريا كبيرا لإظهار الحقيقة، و الصّدع بها مهما تكن العواقب؛ حيث أنّ نتائج الدّراسة أيّا كانت نوعيتها، بقدر ما ترضي البعض تغضب الآخر، المهمّ أن تكون بكلّ صدق، و موضوعية، و روح عملية نقية، كما أنّ كلّ إنسان يفهمها فهما خاصّا، ممّا يؤدّي إلى سوء الحكم. هذا إلى جانب أنّها متعدّدة، متنوّعة كثيرة. لذلك فليس هناك ما يضمن عدم إغفال السّمات أو عدم التّمييز التّام بين السّمات.

و تعتبر الدّراسة المقدّمة أوّل محاولة عملية باللّغة العربية، أو بغيرها من اللّغات عن الشّخصية النّدرومية عندما تجاوزت الأنثروبولوجيا الثّقافية حدود المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المتمدينة.

كما لم أجد محاولة سابقة أستهدي بها في بعض مراحل الدّراسة، عدا دراسة الدّكتور أحمد بن نعمان الّذي اعتمد على منهج تحليل الأمثال الشّعبية في تحديد سمات الشّخصية الجزائرية على خلاف الطّريقة الّتي اتبعتها أنا، وهي تحديد الخبرات الّتي يمرّ بها المولود من الولادة إلى النمو. لأنّ الثّقافة هي الإطار، و الوسط الّذي تنمو فيه الشخصية، و تترعرع. إنّ طبيعة البشر هي طبيعة مرنة، و متغيّرة قابلة للتّبديل بفعل العديد من العوامل الاجتماعية، و التّاريخية، و الثّقافية، ممّا جعلني أشق طريقي شقا وسط الصّعاب من البداية إلى النّهاية. لم يكن أمامي إلاّ أنّ أعتمد على نفسي في جمع المعلومات، و ملاحظة الواقع، و تحليله، بكلّ عزيمة و صبر، و طول النّفس لأنّ الأعمال العلمية دوما تصادفها صعوبات تتناسب، و تتماشى مع الأهداف الّتي ترمي إلى تحقيقها.

كما اشتملت الدّراسة على موضوعات لم تكن مادتها مجتمعة في مراجع محدّدة، و إنّما كانت كامنة في أذهان أفراد الشّعب، أو في مقالات أو في نتف متفرّقة في الكتب، و المجلات و الّتي كلّفني مشقّة معتبرة للحصول، و العثور عليها من المكتبات الّتي توجد بها.

فضلا عن الصّعوبات الموضوعية المذكورة، فلقد وقفت في طريقي عراقل أخرى منذ بداية العمل حيث سمح لي والدي بمواصلة الدّراسة و وفّر لي جميع الظّروف لمتابعة المسيرة العلمية، و شجّعني على ذلك، فلم ألق أيّ صعوبة في البحث و التّنقيب في بداية الأمر، حيث كنت متيقنة أنّ عملي هذا سيستغرق زمنا قصيرا جدّا، فأتاح لي والدي فرصة البحث بالمكتبة الوطنية بفرنسا، كما ساعدني المشرف الدّكتور بن عيسى محمّد كثيرا، و لكن للأسف الشّديد – *تجري الرّياح بما لا تشتهه السّفن* – فلم تدم هذه التّسهيلات طويلا، حيث وقفت في طريقي عراقيل أخرى.

- كغياب المشرف الدّكتور بن عيسى محمّد.
- الظروف الأمنية القاسية الّتي عرفها الطّريق الرّابط بين ندرومة و مدينة تلمسان، فمنعني والدي من التّنقل.

و ممّا زاد الطينة بلّة زواجي بمدينة وهران، ثمّ عملية الإنجاب، ثمّ التّربية، ولكن رغم ذلك حاولت متابعة العمل فاتصلت شخصيا بالدّكتور العلوي مدير معهد العلوم الاجتماعية بمدينة وهران بحضور الأستاذ غماري و وافقا على الإشراف، لكن اقترحا علي تحويل التّسجيل إلى جامعة وهران، و لكن فضلت البقاء بالجامعة الّتي درست بها و شجعني زوجي على مواصلة العمل، و وفّر لي جمع الإمكانيات الضّرورية لإنهائه، و بالتّنقل من وهران إلى مدينة تلمسان، و منذ هذا الحين بدأت الاتّصال بالجامعة فالتقيت بأساتذتي سابقا، و بزميلي السيّد رمضان الّذي شجعني على إنهاء البحث فكان السيّد " حاجيات " مشرفا و السيّد " رمضان " أستاذا مساعدا، و هذا بعد قبول أفراد المجلس العلمي لمواصلة العمل، أتمنى أن أكون عند حسن ظنهم.

و أخيرا فلقد كان من الصّعب جدّا على باحثة تنتمي لنفس المجتمع المدروس أن تتناول موضوع الشّخصية بالدّراسة، و التّحليل بعيدا عن شحنة من الانفعالات، و المشاعر الّتي تشدّني شدّا فقد تحجب عن عيني العديد من الحقائق. لذلك و جدت أمام معادلة صعبة تتمثّل في الاستجابة إلى عواطفي مع الالتزام في ذات الحين بمتطلبات البحث العلمي من نزاهة و موضوعية.

و مهما تكن متعارضة مع رغبتي الذّاتية فإنّها في حقيقة الأمر تعتبر خدمة جليلة للمجتمع النّدرومي خاصة من جهة، و المجتمع الجزائري عامة من جهة أخرى، حيث تكشف لنا عن سمات جديدة بدأت تظهر في المجتمع النّدرومي المسلم، و الّتي لا تتماشى مع عاداتهم، و أخلاقياتهم الدّينية. ذلك نتيجة التطوّر الثّقافي، و معرفة الدّاء، قبل وصف الدّواء، و لا شك أنّ إدراك الضعف دليل القوّة.

الفصل التمهيدي :
التعريف بمدينة ندرومة

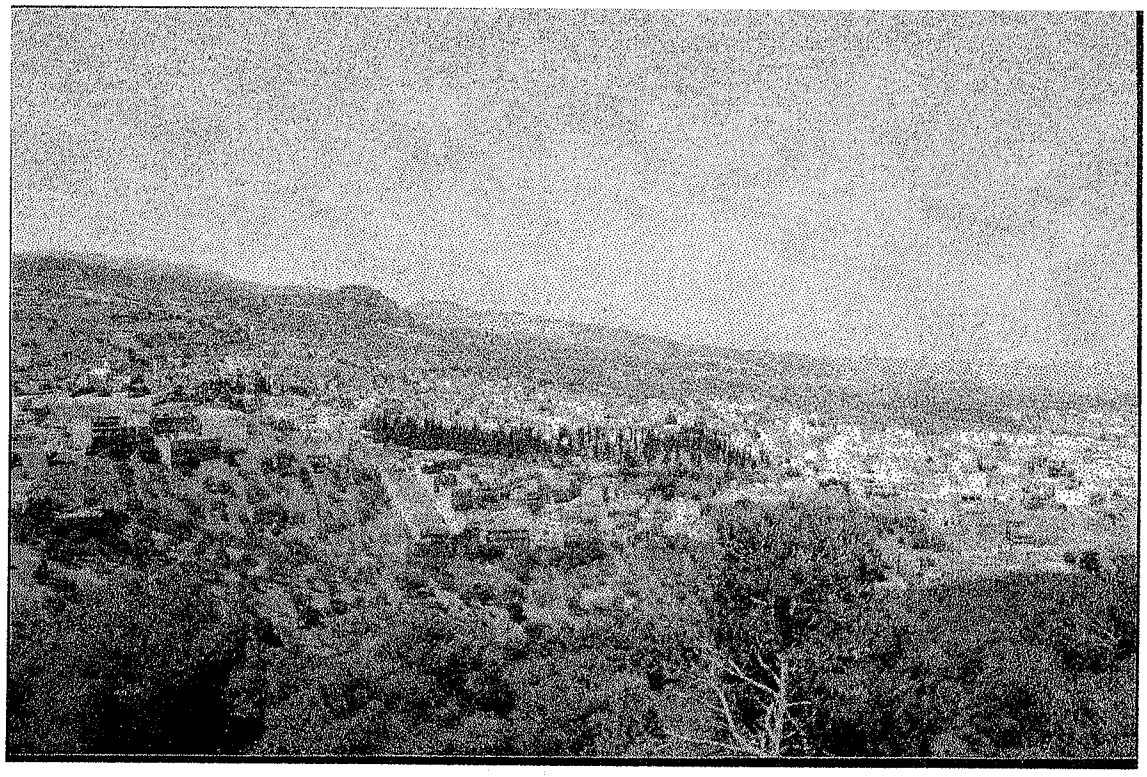

صورة شمسية لمدينة ندرومة
يوليو 2001

أولاً : الدراسة الجغرافية

تقع مدينة ندرومة في ولاية تلمسان بغرب القطر الجزائري، و هي غير بعيدة عن الحدود الجزائرية المغربية.

تبعد ندرومة عن مدينة تلمسان باتّجاه الشّمال الغربي ب 60 كلم، و تبعد عن مدينة الجزائر العاصمة بحوالي 505 كلم، و عن مدينة وهران، عاصمة الغرب الجزائري، ب 160 كلم وعن مدينة مغنية ب 50 كلم كما تبعد عن البحر بحوالي 15 كلم و ترتفع عنه بنحو 650 م. (1)

و تقع بين خطي طول 190°-200° عرض 50°-40° يحدّها من الشمال مرسى الغزوات و شط سيدنا يوشع، و من جهة الغرب مدينة وجدة المغربية و تبعد عنها ب 60 كلم و من الجنوب بلدية فلاوسن و بوغرارة، منطقة ذات مياه معدنية، و شرقا بلدية بني ورسوس.

---

(1) CANAL Joseph : Monographie de l'arrondissement de Tlemcen : Nédroma et les Traras, Bulletin de la société d'archéologie et de géographie d'Oran, Oran, 1888, p. 84-85

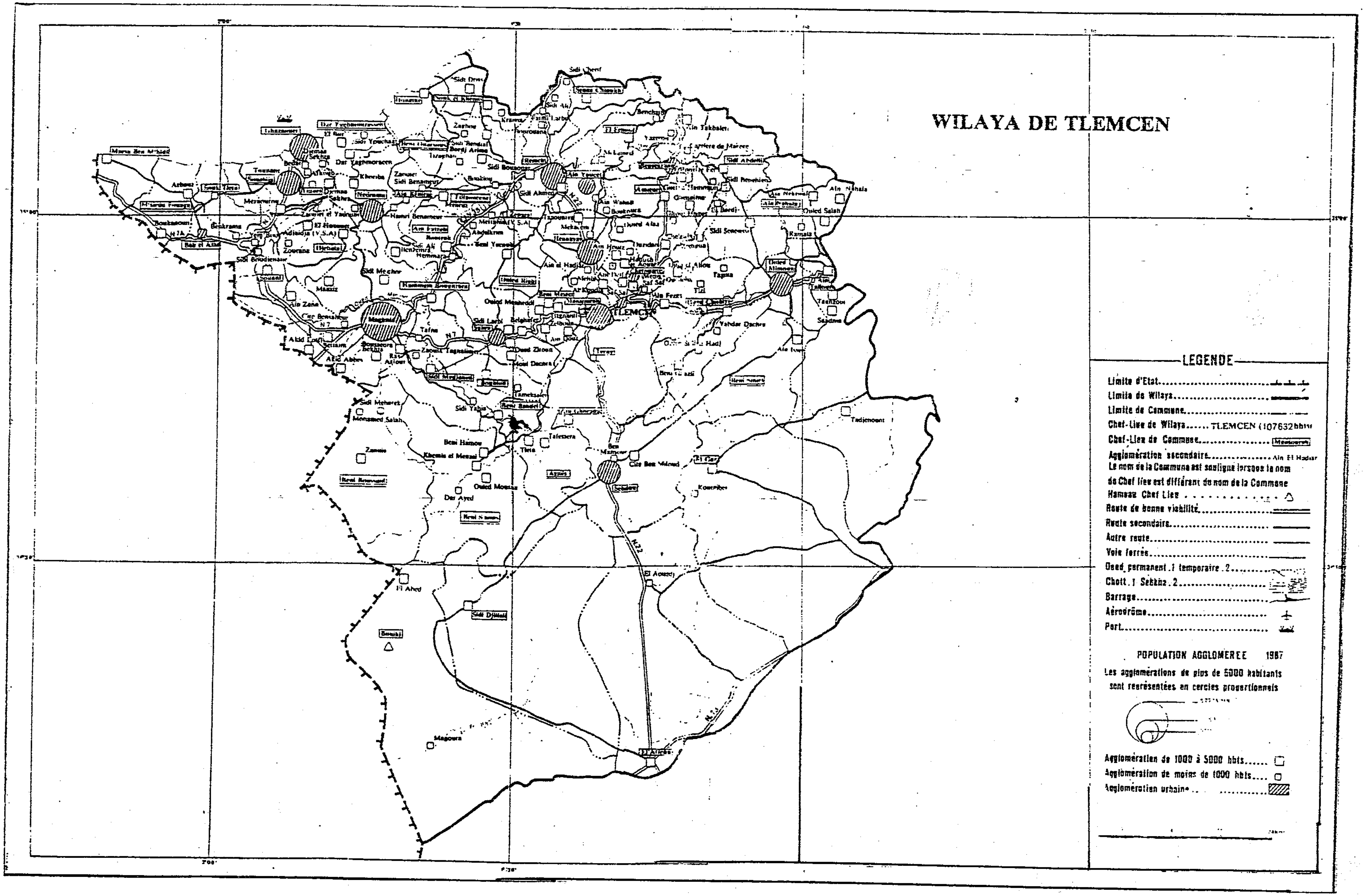

نسخة من خريطة لولاية تلمسان
الديوان الوطني للإحصائيات

و هي قائمة على سفح جبل فلاوسن المشهور إنّها منطقة يمكن مقابلتها بالمنطقة القبائلية نظرا لطابعها الجغرافيّ. في هذا الصّدد يصفها البكري، فيقول : " *و مدينة ندرومة هي طرف جبل تاجرا و غربيها و شماليها بسايط طيّبة و مزارع، و بينها و بين البحر عشرة أميال، و ساحلها وادي ماسين، و هو نهر كثير الثّمار، و له مرسى مأمون، و عليه حصان و رباط ... و مدينة ندرومة مسورة جليلة لها نهر و بساتين فيها من جميع الثمار.* " (1)

إذ تعتبر هذه المدينة ممرا، و هذا من خلال الطّريق الجنوبيّ المؤدّي إلى المغرب، و الّذي يصلها مباشرة بالغزوات عن طريق هضبة واد الثلاثا (TEITA) كما أن المدينة تجثم على مرتفع فلاوسن الّذي يبلغ ارتفاعه 1136 مترا من الجهة الجنوبية الشّرقية، و يكون بذلك أعلى قمّة بترارة (TRARA) الّتي تبلغ ارتفاعها 1157 مترا. (2)

و من الجهة الشمالية لترارة تعتبر هضبة ندرومة الوحيدة ذات أهمية من ناحية طبيعة الموقع بين المرتفعات الجغرافية لفلاوسن عكس هضبة بني منير الّتي تعتبر مساحات مستوية مع ميول طفيف يبلغ 300 مترا 250 م نحو الشمال بحيث تضيق تدريجيا نحو الغزوات، و هذا أدّى إلى تشكل وديان عديدة أدّت بدورها إلى حفر مضيقات عن طريق حركات التوائية للقشرة.

---

(1) البكري : المسالك و الممالك، طبعة سيلان، الجزائر، 1858، ص 80

(2) Marie-Anne THUMELIN-PRENANT : Nédroma 1954, étude urbaine, Université d'ORAN, CRIDISSH, Volume I, 1983, p. 9

إذا تمعّنا في موقع المدينة لاحظنا أنّه باحتلاله لهضبة فلاوسن يصبح موقعها دفاعيا من جهة، و من جهة أخرى غنيّا بصبّات المياه، و الّتي أصبحت المنطقة بها ذات تربة غنية، و إنتاج زراعيّ هائل. تأخذ هذه الينابيع عدّة أسماء : تنتهي بتسمية وادي " ابن صمارة " في الطّريق المؤدّي إلى مدينة مغنية، وادي " عامر " و وادي " الغولة " في حي ابن قميلة، وادي " القصّارين " في الطّريق المؤدي إلى تاجرة، وادي " فريكات " في الطّريق المؤدي إلى جبالة، و وادي " ابن حمو " في الطّريق المؤدي إلى صطور، و وادي " الزّبّاير " في الطّريق المؤدي إلى قرية الخريبة. تترك كلها مجمّعات غابية على ضفافها تعرف بأسماء غابة الزّنين في حي الرّملة، و غابة فلاوسن و غابة سدي بوحجلة، و غابة ولاد برّاشد، و غابة وادي السّبع في الطريق المؤدي إلى تلمسان، و غابة سدي موسى.

و مهما يكن من أمر فإن المكان أختير لندرومة القديمة ليكون موقعها لسببين رئيسيين : وجود المياه الّتي تتفجّر، و تتدفّق من الجبال الشامخة، و الدّفاع عن المدينة بسهولة ضدّ الأعداء. عن الإدريسي قال : " *هي مدينة كبيرة آهلة ذات سور و سوق، و موضعها في سند و لها مزارع كثيرة، و لها وادي يجري في شرقيها و عليه بساتين و جنّات عامرة و سقي كثير.* ". (1)

هاته الغزارة في المياه، و توفرها في هاته المنطقة كانت نتيجة عوامل مناخية، و في مجموع النّاحية الوهرانية تعتبر ندرومة من المدن الّتي نسبة سقوط الأمطار فيها كثير.

---

(1) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة دوزي و جورج لايد، سنة 1866، ص 176

حسب الدّراسات التّي قام بها " سلتزار " (SELTZER) لمدة 25 سنة (من 1013 إلى 1938) يقرّ أن ندرومة تستقبل سنويا 521 ملمترا بالمقارنة مع الغزوات 410 ملمترا و بني صاف 371 ملمترا و مغنية 418 ملمترا، و تلمسان 545 ملمترا إلى 638 ملمترا.

نسبة الأمطار تقل تدريجيا كلّما أخذنا باتجاه البحر (1) و في السّنوات الأخيرة عرفت نسبة سقوط الأمطار في ندرومة تقهقرا مستمرا، و في هذا الصّدد يقول مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر في القديم و الحديث في قسم جغرافية الجزائر الطّبيعية ما يلي : " *الوطن الجزائري واقع بالمنطقة المعتدلة، و لقربه من خطّ الاستواء، كانت برودته أضعف من حرارته و تأثّر جوّه بالبحر شمالا و الصّحراء جنوبا، و الجهات الشمالية على غاية من الاعتدال إذ البحر يضعف حرارة الصّيف بمياهه و يخزنها، فإذا كانت الشّتاء قاوم برودته بأبحرته السّخنة فيعتدل الجوّ تقريبا صيفا و شتاء، أمّا من حيث المطر فإن الوطن الجزائري ليس له في الحقيقة إلا فصلان : فصل الأمطار و فصل اليبس.* " (2)

و مدينة ندرومة بما أنها تبعد عن البحر ب 15 كلم يؤدي بها هذا إلى مناخ معتدل على العموم، تتراوح درجة الحرارة فيها بين 37° صيفا و 16°- 18° شتاءا، و تنقسم السنة إلى : فصل حارّ، و فصل جافّ.

---

(1) SELTZER : Le climat de l'Algerie, Alger, 1946, p. 56

(2) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 47-48

ثانيا : ندرومة تاريخيا

ظهر اسم هذه المدينة ما بين القرنين الثالث، و الخامس الهجريين. إنّ تاريخها يعود إلى عام 875 م حيث شيّدت في عهد أبناء سليمان شقيق إدريس الأوّل، و كانت تسمّى في ذلك الوقت بفلاّوسن نسبة إلى الجبل الّذي تجاوره. لكنّ مؤسّسها الحقيقيّ مجهول، تسكنها قبائل بربرية، و الحجّة في ذلك أماكن عدّة تحمل أسماء بربرية على سبيل المثال :

- فلاوسن : اسم بربري كما ذكر اليعقوبي
- أغبالو : اسم بربري يعني ينبوع الماء
- واد غليس : وادي النمرة Le ravin de la Panthère
- مرّاورو : اسم بربري يعني سهل بطحاء (1)

في هذا الصّدد ذكر اليعقوبي في كتابه البلدان أنّ ندرومة حلّت محلّ قرية بربرية تدعى" فلاّوسن "، انتقل اسمها إلى جبلها المدعوّ " فلاّوسن " و هي كلمة بربرية مشتملة على كلمتين " أفلا " و معناها أعلى و " أوسن " و معناها قرية و إذن فمعنى " فلاّوسن " أعلى قرية.

لماذا سميت بكلمة ندرومة ؟ اختلف في أصل الكلمة فقال البعض : سميت أولا بمدينة البطحة أو البطحاء (أي لغويا مسيل واسع)، ثمّ خربت فأمر عبد المؤمن بن عليّ ببنائها فأخذت اسم ندرومة و هي قبيلة كومية و رغم ذلك ادّعى البعض الآخر أنّ حرف ضادها قاب نونا فأعطي لها اسم (ضدرومة)، و قال آخرون إنّها عنونت بـ (ندرومة) أي مثل روما و نطيرتها (2)

---

(1) ندرومة عبر التاريخ : مجلة أصدرتها جمعية الموحدية المحافظة على التراث، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، ص 2-3

(2) عن ذاكرة مشايخ ندرومة

و مع ذلك لا يوجد سند تاريخي لا للتّسمية الأولى، و لا الثانية. الأمر الذي لا جدال فيه فهو أنها ذكرت سنة (278 ه–892 م) باسم " فلاوسن " في كتاب البلدان لأحمد واضح اليعقوبي (897) الجغرافي و المؤرّخ العربي المعروف الذي له تاريخ تناول فيه أحداث ما قبل الإسلام و ما بعده فقال عنها ما يلي : " *فأبعد من مدينة العلويين أي صبرة ولاية تلمسان توجد " نمالطة " (Numalta) أي لالا مغنية حيث كان محمّد بن علي ابن محمّد بن سليمان يتولى الحكم فيها، و أمّا البلدة الأخيرة التّابعة لإمارة بني محمّد بن سليمان بن عبد الله بن حسن فتسمّى " فلاّوسن "، و هي مدينة كبيرة يتألّف سكانها من مجموعة من قبائل بربرية من مطمطة، و تاجرة، و جزولة، و صنهاجة، و انجفة، و أنجيزة.* " (1)

و أغلبية المؤرخين، الباحثين و منهم ابن خلدون يعتقدون أن ندرومة هي : اسم قبيلة كومية أخذت موضع المدينة القديمة " فلاّوسن ".

و إذا سألت سكّان ندرومة عن هذه التّسمية يجيبون : " *إنّ كلمة ندرومة مشتقة من العبارة الآتية " نظروا الماء " أو " انظروا الماء.* ". (2) بصيغة الأمر أي العبارة التي نطق بها الفرسان العرب عند رؤية الماء تعجّبا لكثرته و غزارته، كما قيل :
" *إنّها آتية من تعريب كلمة بربرية (هند رومات) أو من قلب هائها نونا لسوء النّطق بالكلمة البربرية (هندرومة).* ". هذه كلها تأويلات، و تقديرات لا أساس لها من الصحّة.

---

(1) أحمد واضح اليعقوبي : البلدان، ترجمة من لدن قسطون فيات Gaston Wiet، المولود عام 1887،بدون تاريخ، ص 56
(2) عن ذاكرة مشايخ ندرومة

عرفت مدينة ندرومة ما عرفته مدينة تلمسان من اضطرابات، و فتن سياسية قال اليعقوبي في هدا الصّدد : " *ثمّ إلى المدينة العظمى المشهورة تلمسان ينزلها محمّد بن القاسم بن محمّد ابن سليمان ثمّ مدينة العلويين كانت لولد محمّد بن سليمان ثمّ تركوها فسكنها رجل من أبناء ملوك زناتة يقال له علي بن حامد الزّناتي ثمّ منها إلى مدينة يقال لها : " نما لتة " فيها محمّد بن علي بن محمّد بن سليمان وآخر مملكة لبني محمّد مدينة " فلاّوسن " ندرومة.* ". (1)

فكانت ندرومة ضحية نزاع، و حرب بين دولتين تريد كلّ واحدة منهما الاستيلاء عليها بالقوّة، أو أن تضمها إلى كتلتها السّياسية. كانت قبائل المنطقة تحاول دائما أن تستقل بوطنها تارة معترفة بالسّيادة العبّاسية، أو الفاطمية، و تارة غير معترفة بها و لاسيما وقت الاحتضار، و الخلاف و الفتن بين صنهاجة العبيدية، و زناتة الأموية. و شيّدوا بها في نهاية القرن الحادي عشر المسجد الكبير و منبر على حدّ قول الكتاب الفرنسي " جورج مارسي " (Georges MARCAIS) (1876–1962) شبيه بمنبر مسجد الأمويين بقرطبة، و منبر الكتيبة الموحدية قيل : " *إنّ مسجد ندرومة الكبير الفريد من نوعه و المعروف بسذاجته كمسجد الجزائر العاصمة و مسجد تلمسان و مسجد سدي عقبة المشيد سنة 670 م بني مكان مسجد آخر أكل عليه الدّهر وشرب.* ". (2)

---

(1) أحمد واضح اليعقوبي : البلدان، ترجمة من لدن قسطون فيات Gaston Wiet، المولود عام 1887، بدون تاريخ، ص 110

(2) Georges MARCAIS : Tlemcen, Les villes d'art célèbres, Paris, 1950, p. 60

و المستشرق الفرنسي " رنييه باسة " (1855 – 1924) (René BASSET) عثر سنة 1900 م على لوحة حول أصل مسجد ندرومة الكبير مكتوب عليه بالخطّ الكوفي ما يالي : " *بسم الله الرّحمان الرّحيم و صلى الله على سيدنا محمّد و آله الطيّبين و سلم تسليما لا إله إلاّ الله و محمّد رسول الله، إنّ الدّين عند الله الإسلام و من يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين – هذا ما أنعم الله به – و الأمير السيد ... يوسف بن تاشفين أدام الله توفيقه و أجزل ... و كان الفراغ منه على يدي الفقية القاضي أبو محمّد عبد الله بن سعيد يوم الخميس السابع عشر من شهر ...* " (1) و لا شك أن هذا المسجد من أقدم مساجد الجزائر بني في عهد يوسف بن تاشفين سنة 474 ه (1081 – 1082 م). (1)

أمّا مئدنة المسجد الّتي ارتفاعها 18 مترا فشيدت سنة 1338 م طلبا من بني زيان، و في وقت انتشار بني مرين في الناحية، و استلائهم على تلمسان و وهران فكانت ندرومة معتقلا الأمراء الحفصيين (1229 – 1574) الّدين كانوا يعتقدون أنّهم أولى وأجدر من غيرهم لخلف الموحدين في المنطقة فاصطدموا مع بني زيان بتلمسان قبل مجيء دولة بني مرين إلى الناحية.

---

(1) René BASSET : Nédroma El-Traras, Paris, Leroux, 1901, p. 22-23

بنيت هذه الصّومعة على نفقة أهل ندرومة كما صرّح به René BASSET (1855 – 1924) في كتابه ندرومة الطرارة سنة 1901 (1) كتب على الصومعة : " *بسم الله الرّحمان الرّحيم و صلى الله على سيّدنا محمّد ... و آله الطيّبين و سلم تسليما لا إله إلاّ الله و محمّد رسول الله، و ها الصّامع أهل ندرومة بأموالهم و أنفسهم و كلّ احتساب لله و انبنت في خمسين يوما، و بناها محمّد بن عبد الحق بن عبد الرّحمان الشيصي في عام تسع و ربعين ... و سبع مائة ... رحمه الله ... أجمعين ...* ". (1)

مسجد ندرومة مازالت تقام فيه الصّلوات، و الملتقيات الدينية، و يحفظ فيه القرآن، و العلوم الإسلامية، و تلقى فيه الخطب القيّمة، و الدّروس المفيدة، و هو أقدس و أفضل مكان عند الندروميين الكبار، و الصّغار يتوجّهون إليه أفواجا أفواجا صباحا مساءمارين بساحة التربيعة الشهيرة و حيّ بني زيد العتيق.

و هذا رغم وجود مساجد أخرى بنيت قبل العهد الفرنسي، تمتاز ندرومة بعلاقتها التّجارية مع الخارج بواسطة موانئ هنين المتواجد بقرب جبل تاجرا، و مرسى مأمون بوادي ماسين المذكور في كتاب البكري الّذي يبعد عنها بعشرة أميال أي ستة عشرة كيلو مترا و لكن لا ندري هل أشار إلى ميناء الغزوات أو إلى ميناء (سدي يوشع) المجاور للمدينة.

---

(1) استنادا إلى مرجع المؤلف المعاصر عنوانه تحفة الاعتبار فيما وجد من الآثار بمدينة الجدار، ص 29

اشتهرت المدينة في عهد الموحدين بعد سقوط دولة المرابطين؛ فظهر أيام علي بن يوسف المرابط بجبال المصامدة محمّد بن عبد اللّه ابن تومرت (ت 524 ه – 1130 م) الملقب بالمهدي، و الفقيه السّوسي المؤسس لدولة الموحدين (1120–1269)، أعلن حريته على المرابطين داعيا إلى الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر قصد إنشاء خلافة بالمغرب؛ فجمع شمل أهله بعدما اطلع في رحلا ته على حالة المسلمين السياسية، و الدّينية و على ضعفها، و رأى أنّهم في خطر ثمّ خلفه عبد المؤمن بن علي أحبّ صحابته إليه بالخلافة بين (1130 – 1163 م) أمير المؤمنين، و أنزل الهزيمة تلوى الهزيمة بالمرابطين. قضى على معارضي الحكم في المغرب و طرد الصّقليين من السّاحل الإفريقي و احتلّ الأندلس و وحّد شمال إفريقيا. (1)

فأصبحت ندرومة في ذلك الوقت المهد الحقيقي للموحدين و سندهم المتين و هذا ما نص عليه العديد من الكتاب و المؤرخين و منهم عبد الواحد المراكشي (و هو أبو محمّد عبد الواحد علي التّميمي المولود سنة (581 ه –1185 م) أيّام السّلطان أبي يعقوب ثالث خلفاء الموحدين.

قال في كتابه المخصص للدولة الموحدية بعد تقديم لمحة تاريخية عن الأندلس إلى تاريخ المرابطين فجعلها توطئة للكلام على الدّولة الّتي عاش في أحضانها و صاحب كثيرا من رجالها ما يلي : " ... *و عبد المؤمن هذا هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي أمه حرة كومية. (و الكومية من فاتن و قبيلة ندرومة تنتمي إليها) أيضا من قوم يقال لهم بنو جبر مولده بضيعه من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا و قيل إنه كان قول إذا ذكر كمية) لست*

---

(1) مصطفى أبو ضيف أحمد عمر : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 71

منهم و إنها نحن لقيس عيلان بن مضر بن زرار بن معد ابن عدنان و لكمية علينا حق الولادة بينهم و المنشأ فيهم و هم الأخوال ... كان مولده في آخر سنة (487 ه – 1088 م) في أيام يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين و كانت وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة (557 ه – 1161 م) و مدة ولايته من حين استوثق له الأمر بموت علي بن يوسف أمير المسلمين سنة 537 على التحقيق احدى و عشرين سنة ... ". (1)

و قال عنه مبارك بن محمّد الهلالي الميلي : " *ولد عبد المؤمن بقرية تاجرا من ساحل تلمسان على ثلاثة أميال من مرسى هنين سنة 487 و كان والده علي فخارا يعمل النوافيخ و قيل : " كان قاضيا " و ليس لقبيلة كومية شأن، و نشأ و هو فقير و " طالب " للعلم فارتحل إلى بجاية فاتفق أن كان ابن تومرت قد أخرج منها إلى ملالة و ولد له ذكرا فقصده في تأسيس هذه الدّولة ... ".* (2)

كان عبد المؤمن حازما مقداما سديد الرّأي، حسن السياسة كثير البذل للأموال إلاّ أنّه كان صارما سفّاكا يتدرع إلى نيل مآربه بوسائل غريبة يشف بعضها عن حكمة فائقة، و كان يعظم أمر الدّين و يأمر النّاس بالصّلاة و بأمر بقتل من رآه غير معتدل و النّاس يصلّون و جميع النّاس على مذهب الامام مالك في الفروع و على مذهب أبي الحسن الأشعري (260–324ه/874–936م).

---

(1) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المؤلف سنة 62 ه – 1223 م، بدون تاريخ، ص 110

(2) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 374

في الأصول و كان يجل العلماء و الفقهاء و الشعراء و هو نفسه فقيه و شاعر فصيح عالم بالجدل و الأصول، حافظ للحديث، مشارك في العلوم الدينية و غيرها كعلم النجوم و اللّغة و الأدب و التّاريخ و قد قصدته الشعراء و امتدحته بأحسن المدائح. و عادت منه بأجزل العطايا. (1)

و كان عبد المؤمن حسب قول صاحب المعجب و هو يصفه : " *ذا جسم عمم تعلوه حمرة، شديد سواد الشّعر، معتدل القامة و صيء الوجه جهوري الصّوت، فصيح الألفاظ، جزل المنطق، و كان محببا إلى النفوس، لا يراه أحد إلاّ أحبّه بديهة و بلغني أنّ ابن تومرت الّذي فضله على غيره في تعيينه خلفا له، كان ينشد كلمّا رآه.* ". (2)

تكاملك فيك أخلاق خصصت لها فكفى بك مرور مغتبط
فالسّن ضاحكة و الكفّ مانحة و الصدر منشرح و الوجه منبسط

و قيل حول الموحدين و بناء المغرب العربي ما يلي :

" تعاقبت دول مختلفة على بلدان المغرب العربي، بعد أن انفصلت إداريا عن الدّولة المركزية لكنّها اتخذت في عهد الدّولة الموحدية الّتي اقترن نجاحها بعبقرية المهدي بن تومرت الفكرية و عبقرية عبد المؤمن بن علي السّياسية، و خبرته العسكرية، و قد قامت هذه الدّولة على انقاض الدّولة الزيرية البادسية في تونس، و المرابطين في المغرب العربي للمرة الأولى في التاريخ الطويل فدانت لها جميع جهات المنطقة شمالا، و جنوبا، و شرقا، و غربا. ". (3)

---

(1) البستاني (1848 – 1884) : دائرة المعارف، مجلد 11، طبعة سنة 1318 ه – 1900 م، ص 647

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المؤلف سنة 62 ه – 1223 م، بدون تاريخ، ص 112

(3) الميثاق الوطني : الجريدة الرّسمية للجمهورية الجزائرية رقم 7، يوم 7 جمادىII 1406ه (16 فبراير 1986م)، ص 151

و بذلك أصبح المغرب العربي كلّه موحدا سيّاسيا بعد أن كانت وحدته قاصرة على الجانب الاقتصادي و قد ساعد تحقيق هذه الوحدة على تنشيط العمران و ازدهار الاقتصاد كما أدّى إلى تطوّر ثقافي و علمي منقطع النّظير و من خلال ذلك ساهم المغرب العربي بعطاءات حضارية معتبرة في هذا العهد يمثلها بروز عدد من رجالات العلم و الأدب و الدّين.

أخد عبد المؤمن في فتح المغرب العربي في ثلاث كرّات فاستولى على تلمسان عاصمته في الجزائر سنة 1124 و فاس 1145 و مرّاكش عاصمته في المغرب الأقصى 1146 ثمّ وهران، و الجزائر العاصمة، و بجاية حيث شرد منها بني حماد (1151–1152)، و قضى على بني هلال في سطيف (1153)، و وصل إلى تونس ثمّ حارب دولة المرابطين في جزيرة الأندلس، و أدخلها في طاعته، و صرف بنوه السّتة عشر قواهم و أسطولهم المخيف لحمايتها. حتّى أن حفيده أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور (1184 – 1199) أوصى بها لمّا حضرته الوفاة قائلا لأولاده و أعيان الموحدين حاضرون. "*أوصيكم بالأيتام و اليتيمة، قيل له : و ما الأيتام و اليتيمة ؟ قال : اليتيمة الأندلس، و الأيتام أهلها، إنّه ليس في نفوسنا شيء أعظم من همها و لو مدّ الله أجلنا لم نتوان في جهاد كفارها حتّى نعيدها دار الإسلام ...* ". (1)

ازدهرت ندرومة و قبائلها الكومية و أخذت مكانة مرموقة في أيام عبد المؤمن و لعبت لفائدة دولته دورا سياسيا هامّا في النّاحية و لا يخلو تاريخها من الأساطير الّتي اختلقها بدون شك الخيال لتفسير ما عجز عنه العقل و لتعظيم المعالم و منها الأسطورة الآتية :

---

(1) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 228

" يحكى في الأوساط الشّعبية الندرومية، أنّ ضابطا في الجيش اسمه سيدي أحمد البجايي مخلص لعبد المؤمن بن علي، بعد أن عسكر بعين الكبيرة تبعد ب 20 كيلو مترا عن ندرومة، أحبط مؤامرة كانت تهدف إلى اغتيال أمير المؤمنين ليلا أثناء نومه، و كان قد دبرها عناصر من الجيش الموحدي، غاضبين عليه إثر إطلاق سراح جنود عرب من افريقياأنهكتهم الحروب راغبين في العودة إلى أهلهم بعد فراق طويل. فعزم هذا الفقيه و هو على علم بالمؤامرة على أن يضحي بنفسه لنجاة سيّده من الموت، فطلب من عبد المؤمن أن يسمح له بأن يأخذ مكانه في المرقد ليلا داخل خيمته، و كان قد أوصى من قبل بوضعه على بغلة حملته قصد دفنه في المكان الّذي بركت فيه من التّعب، و هذا ما وقع بالفعل فدفن الفقيه في المكان الّذي أناخت فيه الدّابة، و الّذي أصبح بعد توسيعه مقبرة لأهل البلدة، فنفد عبد المؤمن رغبة صديقه، و أمر ببناء ضريح له تعلوه قبّة، و يحيط به مسجد، كما أمر بتأسيس ندرومة في نفس المكان على حدّ قول " رينه باسيه " في كتابه (حول حكاية في بناء ندرومة) ثار فيها الثائرون من جيشه ثمّ ألقى القبض على المجرمين و سجنهم في حيّ يقال له (القصبة) التي لم يبق منها إلا جدران خاشعة تخفي أسرار المدينة. ". (1)

عن البستاني : حول قصّة عبد المؤمن : " يحكى أنّ عبد المؤمن في صباه كان نائما تجاه أبيه، و أبوه مشتغل بعمله بالطين، فسمع دويا في السّماء، فرفع رأسه، فرأى سحابة سوداء من النّحل قد هوت مطبقة على الدّار، فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن و هو نائم، فغطته و لم يظهر من تحتها و لا استيقظ لها، فرأته أمّه، على تلك الحالة، فصاحت خوفا على ولدها فأسكتها أبوه فقالت : أخاف عليه، فقال : لا بأس عليه، بل إنّي متعجب مما يدل عليه ذلك ثمّ إنّه غسل يديه من الطين، و لبس ثيابه، و وقف ينتظر

---

(1) عن ذاكرة سكّان ندرومة

ما عليه ذلك ثمّ إنّه غسل يديه من الطين، و لبس ثيابه، و وقف ينتظر ما يكون من أمر النّحل فطار عنه بأجمعه فاستيقظ الصّبيّ فتفقدت أمّه جسده فلم تر به أثرا و لم يشك إليها ألما، و كان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر، فذهب إليه أبوه، فأخبره بأمر النّحل، فقال الزّاجر، يوشك أن يكون له شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب. " (1) بعد أن أخرج عبد المؤمن النرومان من صقلية سنة 1159 م وافته المنية سنة (588 ه – 1163 م) في سلا بالمغرب الأقصى ترك ستة عشر ذكرا و بنتين.

بلغت دولة الموحدين بعد عبد المؤمن، أوج عزها في عهد ابنه أبي يعقوب يوسف الأول (558ه–1163م/580ه–1184م) الخليفة الثاني بعد المهدي، ثمّ في عهد حفيده أبي يوسف يعقوب الخليفة المنصور في عمره 25 سنة دامت خلافته (580–1184) أي السّنة الّتي هاجم فيها بنو غنية من جزر الباديار على بجاية إلى سنة (595 – 1199) ثمّ دبّ الضعف في الدّولة المؤمنية و بعد تنازل محمّد الناصر (595 ه – 1189 م) (610 ه – 1214 م) عن الخلافة لفائدة ابنه يوسف الثاني المنتصر و في عمره ستة عشر سنة، و ظل الحكم للموحدين إلى سنة (674 –1276) في عهد إسحاق الذي ألقي عليه القبض بتيمنل (المغرب الأقصى)، و الصّراعات قائمة بين الشيوخ، أي أعيان الدولة، فانحطت الخلافة المؤمنية (2)

ثمّ مضى أمراؤها و انقضوا كما قال الشاعر :

" ثمّ انقضت تلك السنون و أهلها فكأنها وكأنهم أحلام "

---

(1) البستاني (1848 – 1884) : دائرة المعارف، مجلة 11، طبعة سنة 1318 ه – 1900 م، ص 644

(2) عبد القادر جغلول : مقدّمات في تاريخ المغرب القديم و الوسيط، ترجمة فضيل الحكيم، دار الحداثة للطباعة و النّشر، لبنان، بيروت، ط 2، 1988، ص 64–65

فأدّى كلّ هذا إلى ثلاث دول و هي :

- المرينية (1248–1465)
- الوطاسيون (1465–1553) عاصمتها فاس
- الزّيانية (1236–1554) تلمسان امتدت إلى بجاية
- الحفصية (1228–1547) و عاصمتها تونس (1)

فصارت ندرومة في هذه الفترة من ماضيها مدينة عادية في عهد الدّولة المرينية و الدّولة العبد الزّيانية.

و تنتمي الأولى و الثانية إلى قبيلة واحدة هي زناتة و تنافس كلّ واحدة منها الأخرى في خلافة الموحدين فنشأت الضغائن و كثرت الحروب بينها فكان الفوز تارة لبني مرين و تارة أخرى لبني زيان ملوك تلمسان، الشّيء الّذي انعكس أكثر من مرّة على ندرومة.

أصبحت ندرومة سنة 753 ه – 1352 م تحت حكم السّلطان المريني أبي عنان (749 ه–1338 م/759 ه–1358 م) ثمّ أرجعت إلى دولة بني زيان في السنوات الّتي تلتها و بعد إبرام معاهدة الصّلح بين الدّولتين و في هذه الفترة ولد أبو تاشفين الثاني (752 – 1351 م / 795 – 1393 م) و في ندرومة توالى الحكم من 791 ه – 1389 م إلى 795 ه – 1395 م و قام بمحاولة فاشلة لاغتيال والده، ولجأ إلى بلاد فاس، و تحالف مع المرينيين فأوقع هزيمة بأبيه أبي عمر موسى الثاني سنة 791 ه – 1389 م. (2)

---

(1) مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 116–117

(2) ندرومة عبر التاريخ، مجلة أصدرتها جمعية الموحدية المحافظة على التراث، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، بدون تاريخ، ص 8

فلمّا كانت الواقعة التي قتل فيها السلطان أبو سعيد عمه و فر فيها المولى أبو حمو مع عمّه أبي ثابت، لم يزل هو بندرومة فأمر السّلطان أبو عنان ألا يعرض لهما و قال في المولى أبي يعقوب : " *هو و بقية الناس و ممن سلك سبيل السّلف الصّالح* " و نقلهما إلى فاس فكان بها مكرمين " إضافة إلى المكانة الّتي تميّزت بها مدينة ندرومة في عهد الموحدين، لفتت انتباه الأوساط الشعبية و الدّينية و السّياسية أيام ملوك بني زيان و ليس من الصّعب أن نتخيل و نتمثل الحال الّتي كان عليها المجتمع الندرومي في الوقت الّذي خلف فيه أبو حمو اسمه قاتله أبو تاشفين عبد الرّحمن الثاني المولود بندرومة أثناء إقامة أبيه وجد بها سنة 752 ه – 1351 م و قبل وفاة هذا الأخير في ربيع الثاني (795 ه – 1393 م).

و قد قضى أبو يعقوب أربع سنوات في قصر السلطان المعروف الآن. (سيدي سلطان ؟) في دعة و رخاء ببلدة معروفة باعتدال مناخها و موقعها الاستراتيجي غير بعيدة عن شاطئ البحر محاطة بالجبال معترفا بدعوة بني مرين مؤديا لهم ضريبة سنوية ليفرغ لعبادة الله وحده. و لا شك أن ورع هذا السلطان المتنازل عن الخلافة من تلقاء نفسه حبّا لله عاملا بقوله " و العاقبة للمتقين " و قد أثر كثيرا في أهل المدينة قديما و حديثا و لكنه يظهر الآن أنّ أغلبيتهم نسوا هذا الملك الفريد من نوعه الّذي كان بعيدا كلّ البعد عن ملذات الدّنيا و مادياتها في الوقت الّذي كان كلّ وال ينادي بنفسه ملكا.

لم تبق من مبانيه و قصره وحيه إلاّ أطلالا و أحجارا و أشجارا محيطة بقبر " سيدي سلطان " في القصبة العتيقة يزورونه دائما كمكان مقدّس بعض سكّانها للتبرك بفضائله طالبين من اللّه جل جلاله الشفاء لأبنائهم المرضى، و البعض الآخر يرى أنّ ما تبقى من القصر هو قبر وال من سلالة بلال رضي اللّه عنه.
و أثر الإسلام في هذه المدينة ممّا يدلّ على بناء المسجد للعبادة و الاجتماع، و التّعليم، و زوايا للطريقين، و دور الضياف لايواء الطلبة، و الزّوار، و قباب و أضرحة الأولياء (أي المرابطين) و الّتي كان يفوق عددها حسب روني باسي 300 في ناحية ندرومة فقط.

و رغم ذلك كانت الدّولة مركز إشعاع لكلّ ألوان الحضارة الإسلامية عاصمتهم تلمسان، و الدّليل على هذا المباني الأثرية من : المساجد، و القصور و صهاريج ماء و المدارس و مزارات الأولياء و الأسوار الّتي سمح الدّهر ببقائها في تلمسان، و في المدن المجاورة لها كندرومة و هذا كلّه أصدق دليل على الحضارة الّتي كانت تسطع بنورها.

قال المؤرخ المصلح الجزائري مبارك بن محمّد الميلي حول الحركة العلمية و الأدبية بالجزائر " *نهضت الدّول البربرية بالعلوم و الآداب نهوضا رغب المفكرون في الرّحلة إلى ملوكها فكانت منافستهم في ضخامة السّلطان، و امتلاك الأوطان ...* " (1)

---

(1) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 111

و هذا ليس بغريب لأنّ الإسلام من أكثر الدّيانات ملاءمة لطلب العلم الصّحيح النّافع و الاكتشافات العلمية المفيدة، فتمتعت ندرومة هي كذلك بهذه الحضارة الزّاهرة، و امتازت هي الأخرى بميلها الشديد إلى الفنون و الآداب و العلوم العربية و الإسلامية و برز فيها علماء أجلاء من أبنائها أمثال أحمد بن عبد الرّحمن بن عبد الله المعاصر لا بن مرزوق أبي عبد الله محمّد (781 ه – 1379 م) و الذي ولد بندرومة، و تابع دراسه في القاهرة و توفي في تلمسان؛ و سيدي أحمدّ بن ملوكة الشيخ الندرومي الّذي أخذ عليه سدي علي ابن يحي السلكستي و الّذي مات في تلمسان (972 ه – 1565 م). (1)

أحاط بندرومة شيء من الغموض في وقت اندثار الدّولة الزّيانية فأصبحت فريسة لغيرها ... و تداولتها قبائل منها البربرية كقبيلة مطغرة من بني فاتن و عربية ذكرت منها قبيلة عبد الله التي كان قد شنّ عليها الملك يغمراسن سنة 1283 أكثر من سبعين غارة و التي أتت من الصحراء للاستيطان في أوّل و هلة بين و جدة في المغرب الأقصى و تلمسان ثمّ انتشرت في الناحية الغربية للسلب و الاستلاء على أراضيها و ضرائبها و هذا ما أشار إليه أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون (732 ه – 1332 م / 808 ه – 1406 م).

" قائلا أنّه استمّرت هذه الحالة في عهد دولتي الأشراف السّعديين و العلوّيين فقام بغزوها مولاي محمّد الشريف (1661–1691) بعد أن دمر الناحية و استولى على وجدة و بني ازناسن و أخضع بني سنوس و أولاد زكري و حارب قبائل أخرى

---

(1) ابن مريم : كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء في تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص125

كولهاصة و طرارة و معطغرة و غيرها ثم رجع إلى وجدة سنة 1089 ه - 1678 م. يشنّ مولاي اسماعيل (1083 ه - 1672 م / 1140 ه - 1727 م) غارات أخرى امتدت إلى شلف. " (1) و هكذا إلى أن ظهر على مسرح السّياسة الجزائرية الأتراك و الأسبان فاختلفت أيديهم على هذه المنطقة كلّ يجذ بها لاحتلالها و استغلالها و كانت كثيرا من تجاوزات الجيش التّركي المتمركز بها و الّذي أتى على الأخضر و اليابس، الشّيء الّذي أدّى إلى انتفاضات سكانها، قتل أثناءها جندي تركي بسبب تعدّيه على حرمة شابة بكر فاتخذت إثرها إجراءات قمعية تعسفية ضدّ الشّعب الندرومي.

الإسبان لم يغامروا بجيشهم و لا بأسطولهم ضدّ طرارة، و بالأحرى ضدّ ندرومة كما فعلوا بالمرسى الكبير- وهران - بقيت الجنود التركية متمركزة بندرومة إلى عهد حسن داي الجزائر.

و عن حمزة بن رحّال يقول في مقال له " ندرومة مدينة ترارة " تأثر كثيرا الشّعب النّدرومي بهذه الحوادث المؤلمة و انقسم و تشكل مناصرا تارة الأتراك و تارة الأشراف فتخاصمت الفئات، و تعاركت الشيء الّذي دفع داي الجزائر إلى التدخل بينهما و أمر بقمع الثائرين و زجرهم بعد أن دخلها مستعملا بذلك الحيل، يحكى أنّه عسكر بقرب المدينة و طلب من جنوده أن يذهبوا إليها لاقتناء ما احتاجوا إليه من طعام و ليسوا في حاجة إليه لأنّ هدفه الوحيد هو تواجدهم بالمدينة. و عند إشارته لهم حاولوا غزوها و احتلالها و هذا ما وقع فعلا ثمّ عاد الدّاي إلى الجزائر العاصمة.

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدإ و الخبر في أيّام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، الدّار التونسية، 1984، المجلد 6، ص 225

يبد و من خلال ما سبق أن ندرومة لم تعرف هدنة، و لا سكينة بل كانت دائما مسرح نزاع، و صراع بين منافسيها، و الرّاغبين في فتحها، و الاستيلاء عليها و على منطقتها الحدودية الحسّاسة. تشاجر و تطاحن هؤلاء المنافسون من أجلها إلى أن أصبحت مقر عمالة مطغرة ضمت في عهد الأتراك قبائل شتى منها طرارة و السواحلية، جباله مسيردة، و قبائل أخرى متاخمة لوادي أغيلاس غربا و وادي تافنا شرقا، و لعبت على مرّ السينين دورا سياسيا لا جدال فيه.

و في سنة 1831 م خضعت ندرومة نهائيا للأمير عبد القادر على يد نائبه الحاج بن رحال الذي عين واليا عليها، وكافح الشّعب الجزائري تحت لواء القائد العظيم.

و في سنة 1836 م نزل ندرومة بعد انهزام الجنرال طابور، ثمّ رتب جيشه في " العين الكبيرة " ناحية من نواحي ندرومة، و تمكن بفضل ذكائه و عزمه من عقد معاهدة تافنا في 30 – 05 – 1837 واضطرت فرنسا أن تعترف بمقتضاها بندرومة و الناحية الغربية من البلاد، و قسم كبير من وسطها للأمير عبد القادر كحاكم شرعيّ عليها، و في سنة 1839 عيّن الأمير عبد القادر حمزة بن رحال إماما ثمّ قاضيا على مدينة ندرومة، و شرع في تقوية سلطته و في سنة 1843 م استولى العدو على أكثر حصون الأمير منها شلف، معسكر، تلمسان، فتحول الأمير عبد القادر إلى طرارة ندرومة، فزحف العدوّ إليها، و احتلها تحت قيادة الجنرال " بودو "(Bedeau) و أخذ إلى تلمسان ست رهائن من ندرومة منهم القائد " الغماري " و القاضي "بن رحال"، و ست رهائن من بني مسهل، و منع الأمير عبد القادر من اجتياز الحدود المغربية و تعديها، و فتح الجيش الفرنسي مركزا عسكريا بمدينة الغزوات، و ذلك لمراقبة تحركات الجيش الجزائري.

و في سنة 1847 م سلم الأمير عبد القادر نفسه في مكان بقرب سدي ابراهيم بنواحي ندرومة. (1)

لقبت مدينة ندرومة في هذا العهد "بالبلدة الصّلبة" دافعت عن حقوقها و كرامتها، و أسست مجلة سنة 1911 م عنوانها (الحق) بالعربية و الفرنسية تعلن فيها غضبها و شدّة عدوانها للمعمرين، و عندما حاولت فرنسا أن تفرض الخدمة العسكرية على أبناء الجزائر، سنة 1912 م خرج جمهور غفير من سكان البلدة، و ضواحيها في مظاهرة عارمة، أحدثت ضجة عظيمة داخل و خارج القطر الجزائري، فحاول مقاومتها رئيس دائرة تلمسان بتطويقها بالجيش لتوعيته، واستعان بسدي دريوش مرابط زاوية بني مسهل الّذي خاطب الثّائرين، وطلب منهم أن يكفوا عن مظاهرتهم، و لكن لم يسمح له أحد بل زاد سخطهم حدة، و هددوا بالقتل كلّ من يخضع لهذا القرار، و ذكر هذا الحادث في جريدة المعمرين الصادرة في وهران (L'Echo d'Oran) في 24 ماي 1912 م تحت عنوان " حوادث خطيرة في ندرومة ".

واصلت ندرومة مجابهة تحديات الاستعمار الفرنسي، و قاومته كسائر المدن الجزائرية.

---

(1) الميثاق الوطني، الجريدة الرّسمية للجمهورية الجزائرية، رقم 7، يوم 7 جمادى II 1406 ه (16 فبراير 1986 م)، ص 154

ثالثا : السكان

إنّ سكّان ندرومة أكثرهم من أصل بربريّ يحبّون الأرض، و يتعلّقون بها، و لا يعرفون التّنقل، قال عنهم الميلي : " *البربر أمّة من أقدم أمم العالم و أشهر أجياله، عاصرت العرب، و الفرس، و اليونان، و الرّوم، معروفة بعزّ الجانب، و إباية الضيم، و الدّفاع عن الشّرف، و قد زاحمت الأمم، و دافعت الملوك عدّة آلاف من السّنين، حاربت بني إسرائيل في الشام، و هاجرت إلى وطن إفريقية و المغرب، فاستولت عليه في أعصار لا يعلم مبتداها إلاّ العليم الخبير، و استوطنته بطونها، و قبائلها، و كانت ذات كثرة و منعة، فملأت وهاد المغرب و نجاده.* ". (1)

و صفهم سي محمد بن رحال الندرومي في الفصل المعنون " *بندرومة مدينة ترارة* " قائلا : " *إنّ سكان ندرومة بربريون ذو اللّون الأبيض، و الشعر الأشقر، و العيون الزّرقاء، و الأنف الرّقيق، سيمات مميّزة للجنس السامي.* "، ثمّ يستطرد و يقول : " *إنّ اسم ترارة من كلمة ترا تراس أي إنّه رجل كثير التّنقل و المشي على الأقدام، قصير القامة، قويّ البنية، عريض المنكبين.* ". (2)

---

(1) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 1، المؤسّسة الوطنية للكتاب، إنتاج دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 80

(2) CANAL Joseph : Monographie de l'arrondissement de Tlemcen, Bulletin de la société d'archéologie et de géographie d'Oran, Oran, 1886-1887, Chapitre 3, p. 80

أمّا ابن خلدون فلقد شعر أن أمامه بالمغرب وحدة سلالية كبرى تعدّدت بطونها، و كثرت شعوبها؛ فانتشرت القبيلة بشعوبها و بطونها على الوطن الجزائري كلّه، و كان لها في كلّ قسم من أقسامه بطن أو شعب، ففي ندرومة نجد بطون " *نفزاوة ولهاصة* " و ذكر نفس المؤلف أنّها تقطن حيث تقطن كومية فيقول : " *أ مّا كومية – و يعرفون قديما بصطفورة فلهم بطون ثلاث : " ندرومة، مغارة، بنويلول، و من هذه البطون تفرّعت شعوب كومية و تعدّدت قبائلهم و مواطنهم، قال ابن خلدون : على ساحل تلمسان و أرشكول* (*). ". (1)

إن عائلات عربية دخلت المغرب عامة و ندرومة خاصة، فيقول ابن عذارى في هذا الصّدد : " *العائلات العربية استقرّت بالمغرب و تنقلت من مدينة إلى أخرى وراء العلم تارة، و الرّزق تارة أخرى. و على إثرهم أسلمت في القرن الثامن قبائل ندرومة البربرية و استوطن بها عدد كبير من الجيش العربي المسلم و اختلط بسكانها، و اندمج بعضهم ببعض.* " قال عنها اليعقوبي في كتاب البلدان : "*فلاوسن هي مدينة كبيرة يتألف سكّانها من مجموعة من قبائل بربرية من مطمطة و جزولة، و صنهاجة و أنجفة و أنجيزة.* "

(*) أرشكول : هي القرية الّتي ذكرها البكري بلفظ أرشقول عند مصب نهر تافنا في البحر، و ذكر من حصونهم حصن هنين.

(1) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 1، المؤسّسة الوطنية للكتاب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 105-106

و واضح أنّ قبيلة صنهاجة مازالت إلى يومنا هذا، و قد امتدت فروعها من بلاد الزاب بالجزائر إلى الصحراء حيث تسمّى زناجة و لا تذكر صنهاجة إلاّ مقرونة بكتامة حيث ينتسب كلاهما إلى حمير فهم عرب قحطانيون على الأرجح و ينحدر من صنهاجة المرابطون الّذين امتدّ نفودهم من قشتالة بالأندلس إلى الجزائر.

و البربر و العرب سلالة واحدة في رأي كثير من النّسابين، أضف إلى ذلك التّوالد و الامتزاج النّاتجين عن الحياة المشتركة مند عشرات الاجيال، و لقد أكّد "كوتي" (GAUTIER) (1)، أن نتائج الفتح العربي بعد مرور اثني عشر قرنا تبعث على الدّهشة لأنّ المغرب استعرب على نطاق واسع كما تغلغل الإسلام في أحشائه، و شمل مجموع أجزائه، و قلما أحرزت الفتوحات في تاريخ المعمور مثل هذا النّجاح، ثمّ قال "كوتي" (GAUTIER) صفحة 254 " *إننا نلاحظ خلال مجموع تاريخ المغرب تجانبا بين البربر و العرب لانّ تشابه الحياة و العواطف الجوهرية أقوى من اختلاف اللهجات* " و أكد المؤرّخ الفرنسي "رونان" (RENAN) أنّ من دعائم الوطن الوحدة الروحية و أهمّها وحدة الدين، و العواطف. فديموقراطية الإسلام تساوي الأجناس " *إن أكرمكم عند الله أتقاكم.* ".

---

(1) كوتي : عصور المغرب الغامضة، صفحة 221 إلى 225 عن الأستاذ علال الفاسي : تاريخ الحضارة المغربية، ج 1، دار السلمي، الدّار البيضاء، المغرب، 1962، ص 25

ففي القرن الخامس الهجري، دخل المغرب العرب الهلاليون و السلميون فأنشأوا لغة الضاد في كثير من الأقاليم البربرية و أصبح العامل اللّغوي يعزّز إلى جانب العامل الجنسي، و أكد المؤرخ " كزيل " : " *أنّ البربر تبنوا لغة الإسلام لأنهم تعلّموها بدون مشقة نظرا لمعرفتهم للّغة البونيقية، الّتي لا تختلف عن لغة العرب. و هكذا نرى أنّ الهجرات الهلالية اتخذت مظهر الفتح، و تأسيس الإمارات العربية فأتت لتضيف إلى ذلك الدّم العربي، و تعدل التكوين الجنسي، و العصري لسكان المغرب. حتىّ أصبح العنصر البربري القديم لا يلتمس إلا في معاقل الجبال ذات الطّبيعة الوعرة، و لا يتميز إلا ببعض الظواهر اللّغوية.* " (1)

و هكذا قسم العرب الفاتحون بلاد إفريقية فاستقّر بنو هلال و سليم في منطقة تونس، و ما يليها غربا فكان لسليم الشرق، و لهلال الغرب. (2)

كما سيطر العرب على قبيلة صنهاجة مدّوا نفوذهم إلى قبيلة زناتة البربرية حتّى تمّ لهم إخضاع القبيلتين. (3)

إنّ المستقرين من العرب بالبلاد كانوا غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم يقضون الوطر من فتح الأمصار، و الأقطار ثمّ يعود أغلبيتهم إلى وطنهم، و من بقي منهم يستوطنون الأمصار، و يسكنون القصور، و جاوروا أهل البلاد من البربر الّذين يسكن جمهورهم المداشر، و كهوف الجبال.

---

(1) أحمد الشنتاوي، ابراهيم زكي خورشيد و عبد الحميد يونس : دائرة المعارف الإسلامية، ج 3، مادة 33، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 508

(2) أبو الحسن علي بن أبي الكرم : ابن الأثير الكامل، ج 11، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 6، 1986، ص 56-58

(3) نفس المرجع السابق، ج 9، ص 390

و لقد نجحت هذه القبائل في نشر اللّغة العربية، و الإسلام في جميع أنحاء المغرب لاتّفاق أساليب حياتهم و تجانسها مع الحياة البربرية في السهول و الجبال، فالعرب و البربر شعوب بدوية و رعوية أو شبه رعوية. تكون جنس خليط، و استعرب البربر و علّق الميلي على ذلك بقوله : " *و قد شاء اللّه أن يكون للعرب وجود جنسي في عصر البربر السياسي كما كان للبربر وجود جنسي في عصر العرب السّياسي غير أن بين الوجودين فرقا. فإن العرب مؤثرون في البربر في العصر العربي سياسيا، و دينيا و في العصر البربري اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا أيضا.* ". (1)

و نجد سكان ندرومة يتكلمون لغة عربية نقية ولكنها لغة تشوبها بعض الألفاظ، و التقاليد الخاصة بهم، و الّتي بقيت على لسانهم لتذكرهم بأصلهم التاريخي، و بالإضافة إلى هذه الألفاظ، و التعّابير فإنّ اللّهجة مشوبة بلكنة ندرومية قديمة مازالت ثابتة إلى وقتنا هذا رغم مرور الزّمن، كأن تقول المرأة الندرومية : "*أنا بنت القع، و البع، و السّباط من ثلث الرّبع، باخرّجلي الرّزمة، و الصّندوق و الزّربية من الفوق.* "

أمّا الرّجل يقول : " *ندرومي آصل متأصل فيها مترسم ...* "، و كان البربر مقتنعين منذ نزلوا المغرب في حياتهم بما منحتهم الطبيعة من خصب أراضيهم الّتي كانت على كثرتهم و وفود عدد قبائلهم تفي بحاجتهم و حاجة حيواناتهم فلم يكن لهم من غرض في استعمار وطن آخر.

---

(1) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 1، المؤسّسة الوطنية للكتاب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 83

فوصفهم مبارك الميلي :

" البربري مطلقا فإنّه فلاح مقيم، عامل كناز تاجر حاذق حربيّ شجاع، و قد يكون لصّا متمرّدا حارا ينتقم ممّن أغضبه بأكثر ممّا يستحقّ، حرّا متطرفا في الحرّية إلى درجة أنّه يكره الرّئاسة عليه، و يتقزّز منها إلى أن تسمح له الفرصة لهدم تلك الرّياسة و تخريب سلطانها، فخورا بأصله، و عشيرته، هائما بمسقط رأسه حتى إذا فارقه لضرورة بقي حنينه إليه لا يضعف من طول الاغتراب بل يزيده قوّة التهاب فمتى أمكنه العود عاد إلى وطنه. ". (1)

---

(1) مبارك بن محمّد الميلي : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 1، المؤسّسة الوطنية للكتاب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 95

و في قصيدة من الشّعر الملحون و الّتي نظمها عاشق ندرومة الممحون محمد بن عمرو الزرهوني بن الحاج بومدين رحمه اللّه. يؤكد تمسّك سكان ندرومة بمدينتهم العريقة فيقول :

مقواني نحلم من فراق وطني ساهي
كالهيمان يالخلان
راجي من الله التّوبة و الرّجوع و ما قطعت لياس
منه عوني المنّاس
ندرومة بلغ نداك وطن أجدادي يازين الأوطان
يالخلان
و ثقت لمواسم أسلافي ذيك متينة السّاس
حنيت لأيام زمان
أصلي رفيع و نسبي عالي فاق منابر الأذان
يالخلان
صاين شاني حاظي عرضي ماتوصّمني الأدناس
و لا يشبني بهتان
عشقي لندرومة و هواي بللخوة أقران
يالخلان في الحشا يبقوا ما طالت
الأعمار و بقان الأنفاس
على الدّوام في الأكنان
هي منبت الشهامة الخصال و صدق الإيمان يالخلان
نجبت نوابغ الأقطاب ضوّا وافي الأملاك نبراس
زعماء و فرسان

قصيدة من الشعر الملحون نظمها عاشق ندرومة الممحون محمد بن عمر و الزرهوني ولد الحاج بومدين رحمه اللّه.

بالإضافة إلى العرب الوافدين على ندرومة هناك أفواج من اليهود، و الأندلسين، و المسلمين، فكان الفوج الأول من المهاجرين قد أطرد من إسبانيا سنة 1491 من لدن النّصارى، فلقوا القبول الحسن لدى بني عبد الواد ملوك تلمسان آنذاك، و لحق بهم سنة 1492 بعد سقوط غرناطة إخوانهم في الدين لقوافي بلاد الإسلام أفضل مما عهدوه في بلاد النّصارى و بدأت الهجرة الثانية مند بداية الهجوم المسيحي في ق 10 م و خاصة بعد اضطهادهم من لدن فليب الثاني سنة 1568. (1)

و تمّ طردهم مع فليب الثالث سنة 1609 – 1610 و يقول الكاتب : "*إنهم أحيوا للموانىء مثل حنين و بريسك، و أرشقول و وفروا حركة صناعية في المدن مثل ندرومة، مستغانم، و شرشال، و بالخصوص الجزائر.* ". (2)

و بالتّالي نلاحظ من خلال قول الكاتب أندري بريان أنّ ندرومة دخلها اليهود و الأندلسيون. تمّ التّمازج و الانصهار بين العنصرين. فتوالى سيل المهاجرين الأندلسين فنقلوا معظم نماذج الحضارة الأندلسية التّي طبعت إذ ذاك الحياة الاجتماعية، و الاقتصادية، و الفكرية بطابع الفخامة، و الرّقة، و لم يكد يقع النّفي العام بالأندلس حتىّ غصّت رحاب بعض كبريات المدن بعلماء، و شعراء، و فنانين، و تجار، و أرباب حرف ساهموا فعليا في صهر الحضارتين صهرا طبعهما منذ ذلك العهد بطابع الطرافة، و الرصانة و السموّ.

---

(1) أندري بريان، أندري نوشي وايف لكوست : الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984 م، ص 149

(2) نفس المرجع السابق، ص 150

امتزجت كثير من العادات و المظاهر المقتبسة من الحضارتين امتزاجا عميقا تعذر معه ردّكلّ منهما إلى ينبوعه في كثير من الأحايين، و يتجلىّ الطّابع الأندلسي خاصة في ميدان التجارة، و الاقتصاد و الموسيقى و في مناهج و أساليب الفلاحة، و كان بنو عبد المؤمن يجلبون صناع الأندلس الّذين يبرعون في الأساليب المعمارية.

" فالأندلسي بهذا يكون قد خضع للمغرب طوال ثلاثة قرون و الّذي هو من طينة سلالية غيرطينة العرب، و لا البربر علق هو أيضا بالعروبة، و مظاهرها، و أهمل حتى الأدب اللاتيني حسب المؤرخ دوزي، و احتقره أبلغ احتقار بينما أحسّ بالأدب العربي يلهب سويداءه، و شعر بمتعة لا نهائية خالصة، و كان الرّجل الأندلسي مستعدّا للتّنازل عن الأدب اللاتيني كلّه في مقابل نتف من الشعر العربي. " (1) و ناحية أخرى هامّة و هي : *" أنّ الفقهاء و العلماء كانوا يرحلون من الأندلس إلى المغرب إلى برّ العدوة معتصمين بالمرابطين نجاة بأنفسهم و دينهم.* ". (2)

---

(1) مصطفى أبو ضيف أحمد عمر : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 47-58

(2) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقية من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1957، ص 264

تواجد اليهود في مدينة ندرومة بين المدينة و البحر في كلّ من بني منير بالقرب من شاطئ سيدنا يوشع، و في ولاد داود، و يذكر الكاتب " قييوم " (G. GRANDGUILLAUME) في كتابه Nédroma, l'évolution d'une médina أنهم أتوا من المغرب الأقصى، و البعض منهم أتى من الأندلس. (1)

و ذكر " إميل جانيي " (Emile JANIER) في كتابه الغزوات و ضواحيها Nemours et sa région، صفحة 29، قائلا :

" و لمّا وفدت الجماعات الأولى من اليهود إلى مدينة ندرومة وجّه لها الحاكم المسلم أمرا بالإقامة خارج المدينة، بالقرب من المكان المسمّى بسطح الكهف، و بعد مدّة من الزّمن سمح لهم بالإقامة داخل المدينة، فتمركز بعضهم في حيين من أحياء المدينة و هما : حي " قناوة " و حي " الخربة ". " (2) و بنوا ما يعرف بالشنوغة Synagogue و الّتي ما زالت موجودة إلى يومنا هذا بالاضافة إلى مدرسة، و مقبرة أمّا عن أسمائهم فيرى الكاتب "قيوم" (G. GRANDGUILLAUME) أنّ البعض منها ذات دلالات عربية لا تدل على ملّتهم كيهود.

مثل :

- ابن عيون Benayoun
- ابن دنون Bendenoun
- بوعازيز Benaziz
- ابن حمو Benhammou

---

(1) Gilbert GRANDGUILLAUME : Nédroma, l'évolution d'une Médina, Leiden E. J. Brill, Paris, 1979, p. 148

(2) Emile JANIER : Nemours et sa région, Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, Oran, 1950, p. 29

و البعض الأخر لها دلالات إسبانية، مثل :

- مارسيانو Marciano
- بيراس Peres

أمّا الأسماء الأخرى تدلّ على كونهم يهود أصليون، مثل :

- ليفي Levy
- عزيزة Aziza
- طبول Teboul
- حزيزة Haziza
- كورشي Corchia
- شكرون Choukroun (1)

كما لهم نفس عادات و تقاليد سكان المدينة من حيث المأكل و الملبس، و يتكلمون اللّغة العربية، و بلهجة عربية ندرومية، و هذا ما جاء في كتاب "وليام مارسي"Georges MARCAIS (2) في كتابه اللهجة العربية المتكلم بها في تلمسان. و وصل بعضهم إلى درجة مرموقة في الفن الأندلسي، و ساهموا في تطويره. كما ساهموا في المبادلات التجارية مع الندروميين، و منهم " ربين عزيزة " التاجر المعروف في مجال التجارة.

و امتدت موجات من سكّان المغرب إلى ندرومة فسكان ندرومة مزيج من : البربر، و العرب الفاتحين، و سكّان المغرب الأقصى، و اليهود، و الأندلسين.

---

(1) Gilbert GRANDGUILLAUME : Nédroma, l'évolution d'une Médina, Leiden E. J. Brill, Paris, 1979, p. 149-150

(2) Georges MARCAIS : Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, LEROUX, Paris 1902, p. 17-18

و كلهم تمركزوا بالمدينة بينما سكان البادية و الذين يدعون عادة (بالقبايل) أو الدّشريين لكونهم يسكنون بالمداشر كبني منير، بني مسهل السوّاحلية، جبالة، بني خالد، بني عابد، بني وارسوس، بني واسين، يقول عنهم الكاتب "قيوم" Gilbert GRANDGUILLAUME في كتابه صفحة 146 : " *إنّ سكان البادية هم السكان البربريون الأصليون للمدينة كما يدل على ذلك عاداتهم و تقاليدهم، و حرفهم التّقليدية، و لهجتهم المتميّزة* ". (1)

و في هذا الصّدد كذلك يقول أندري برنيان في كتاب الجزائر بين الماضي و الحاضر صفحة 208 : " *كان سكان الرّيف هم الطّبقة المتفوقة عدّدا و كان أهل الجبال القائمين على الأشجار فيها يسموا (بالقبايل) و إن لم يكونوا يتكلمون كلّهم اللّغة البربرية يعيشون بإنتاجهم الفلاحي، و تربية المواشي في مناطق الرّعي و الغابات الرّاجعة إلى الملكية المشتركة في القرى أو إلى التجمعات كانوا يوفرون كسبهم من الصّناعات التّقليدية مثل الخزف بطرارة، و الأدوات و الأسلحة و الزيت، و الصابون الأسود و الأصباغ، و الزّرابي الّتي تنسجها النّسوة و كانت منازلهم من الحجارة و سقفها من التبن و الطين.* ". (2)

أمّا العائلات النّدرومية، فيرى الكاتب أنّها وفدت إلى المدينة في هجرات متتالية و تمركزت بالمدينة.

---

(1) Gilbert GRANDGUILLAUME : Nédroma, l'évolution d'une Médina, Leiden E. J. Brill, Paris, 1979, P. 146

(2) أندري بريان، أندري نوشي، ايف لكوست : الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1984 م، ص 208

الفصل الأول :
الرضاعة

مرحلة الرّضاعة تعتبر من أهمّ مراحل الطّفولة حيث يوضع فيها أساس نمو الشّخصية فيما بعد، و هي مرحلة انطلاق القوى و الإنجازات الكبيرة حيث تشهد نموا جسميا سريعا، و تآزرا حسيّا حركيا ملحوظا. يتعلّم فيها الرّضيع الكلام، و يكتسب اللّغة، و يلاحظ في هذه المرحلة نمو الاستقلال، و الاعتماد النّسبيّ على النّفس، و الاحتكاك الاجتماعي بالعالم الخارجي. (1)

و في هذه المرحلة يتمّ الفطام، و فيها تنمو الذّات، و يتكوّن هذا المفهوم الّذي يعتبر الحجر الأساسي للشّخصية، إذ أنّ لرابطة الإطعام هذه أهمية اجتماعية، و عاطفية تتعدّى حدود تعلّم، و تعليم مهارات جديدة حيث يأخذ المولود طعامه عن طريق الرّضاعة، رضاعة ثدي أمّه أو ما يعوّض عن ذلك ممّا توفره له البيئة الاجتماعية المحيطة به. يتعلّم الرّضيع أنّ الأمّ جزء من هذا النّشاط أو هذه الفعالية المشبعة، فمنظرها ورائحتها، و ملمسها يرتبط عنده بهذه الدّرجة العالية من الإشباع سواء كانت عن طريق الثدي، أو عن طريق الرّضاعة الصّناعية هذه الطّرق الّتي تختلف فيها النساء من مجتمع لآخر تخلق لنا سمات للشّخصية تختلف من فرد لآخر.

لذلك تركز اهتمام الدّراسة الحالية بهاتين الناحتين بالنّسبة لهذا الموقف فجاء السّؤال الأوّل مصاغا كالتالي :

– ما هو الأسلوب الشائع الّذي تتبعه الأم النّدرومية في الرّضاعة ؟

– هل الرّضاعة الطّبيعية أم الرّضاعة الصّناعية ؟

---

(1) ميشل دبابنة و نبيل محفوظ : سيكولوجية الطّفولة، دار المستقبل للنّشر و التّوزيع، الأردن، عمان، 1984، ص 17–18

و قد كان الاختيار في الإجابة بنعم أو لا و حصلنا على الجدول رقم 5 التّالي :

نوعية الرّضاعة	العدد	النسبة المئوية
الرّضاعة الطّبيعية	30	75%
الرّضاعة الصّناعية	10	25%
المجموع	40	100%

رسم بياني للجدول رقم 5

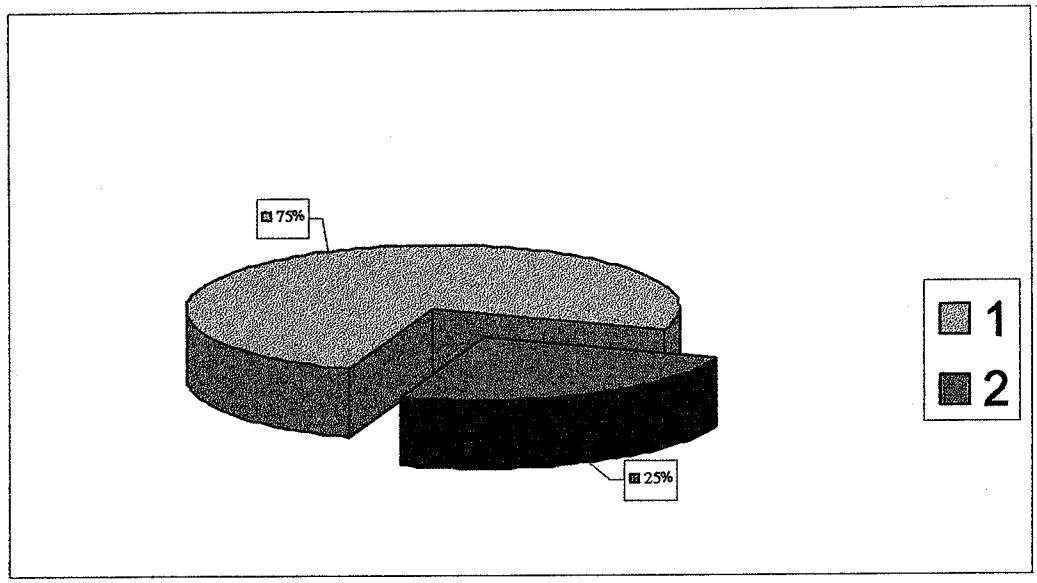

من خلال الجدول رقم 5 نلاحظ أنّ أغلبية مطلقة حصلنا عليها من النّساء المستجوبات يمارسن الرّضاعة الطّبيعية من " الثدي " منذ اللّحظة الأولى. إذ أنّ 30 امرأة أي بنسبة 75 % صرّحن بأنّهن يرضعن أبناءهنّ حولين كاملين أو أكثر، و هذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على تمسكهّن بعقيدتهّن و دينهنّ مصداقا لقوله تعالى : " *و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرّضاعة.* " (1)

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة، T 233

بينما الجدول رقم 6 : يبيّن النسب المئوية لمدّة الرّضاعة في العيّنة الكلية (الرّضاعة الطّبيعية) :

مدة الرّضاعة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 6 أشهر	10	33,33%
من 6 أشهر إلى 12 أشهر	15	50,00%
من 12 أشهر إلى ما فوق	5	16,67%
المجموع	30	100%

رسم بياني للجدول رقم 6

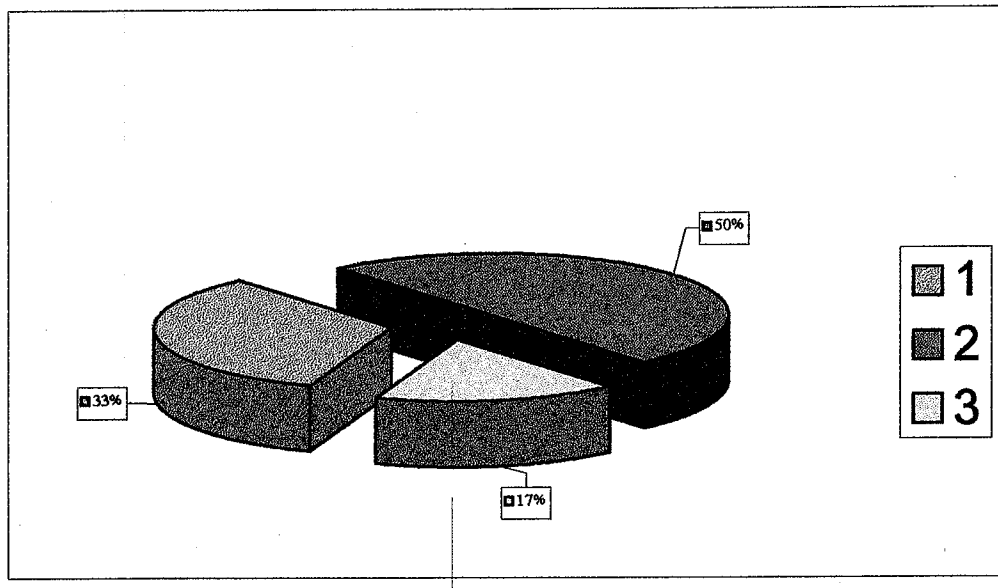

و هذا يعني أنّ أغلبية الأمهات يستغرقن مدّة طويلة في الرّضاعة الطّبيعية حيث أفادت بذلك حوالي 50 % من المجموع الكلي لأفراد العيّنة.

جدول رقم 7

مقارنة بين الفئتين لمدّة الرّضاعة الطّبيعية

المجموعات	أقل من 6 أشهر		من 6 أشهر إلى 12 أشهر		من 12 أشهر فما فوق		المجموع	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الفئة الأولى : من 60 سنة فما فوق	8	26,67%	10	33,33%	5	16,67%	23	76,67%
الفئة الثانية : من 20 سنة إلى 40 سنة	2	6,67%	5	16,67%	0	0,00%	7	23,33%
المجموع	10	33,33%	15	50,00%	5	16,67%	30	100%

رسم بياني للجدول رقم 7

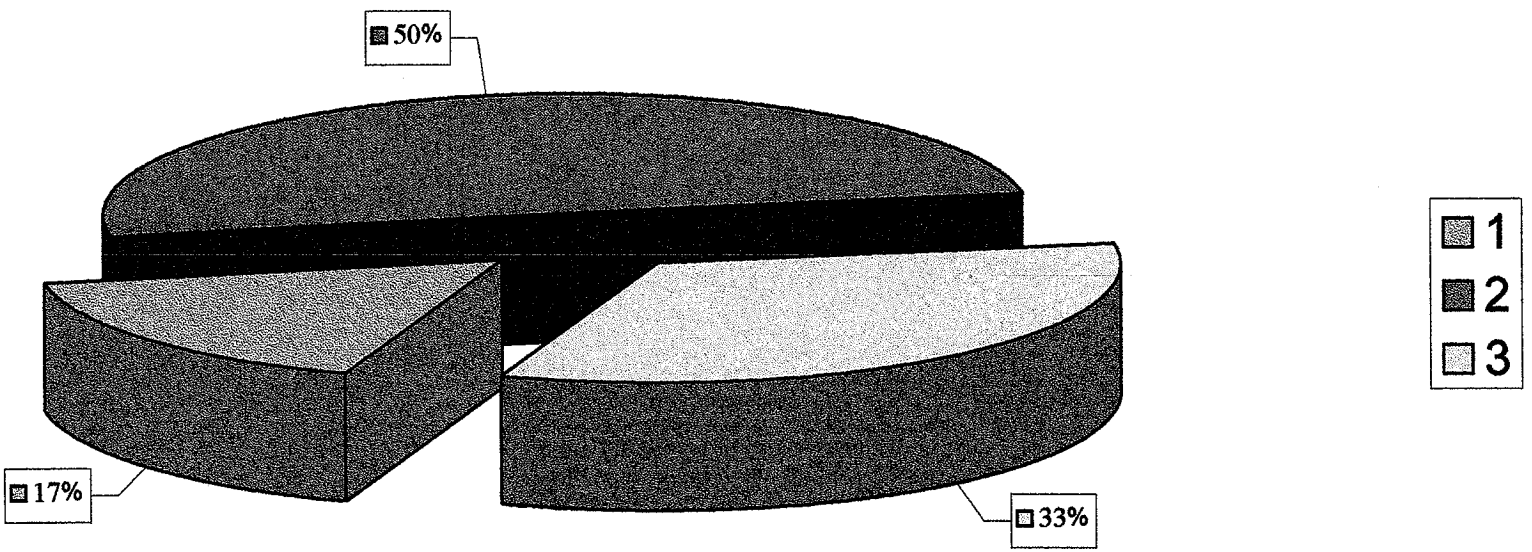

الجدول رقم 7 لمقارنة الفئة الأولى التّي تمثل الجيل القديم 60 سنة فما فوق مع الفئة الثانية و التّي تمثل الجيل الحديث أي من 20 سنة إلى 40 سنة.

تمّ استثناء الأمهات اللّواتي لم يرضعن أطفالهن من الثّدي و قد بلغ مجموعهن 5 نساء لذلك جاء مجموع العيّنة 35 امرأة.

إنّ أكبر عدد تمثله الفئة الأولى، و قد صرّحت هذه الفئة التّي تمثل الجيل القديم أنّ الأمّ ترضع ابنها لمدّة طويلة حولين كاملين أو أكثر و أحيانا تساعدها مرضعة في ذلك متبعين سنّة رسول اللّه _ *صلى اللّه عليه و سلم* _ حيث سلّمته أمّه آمنة بنت وهب لحليمة السّعدية رضي اللّه عنهما.

و قد صرّحت أنّ التّغذية كانت قاسية جدّا فالطّفل يأكل مباشرة من غذاء العائلة، إذ ليس له نظام خاص به و بذلك يكون هذا المبدأ عامّا في الأجيال السّابقة.

فهذا النمّط من السّلوك هو نوع اجتماعي، اقتصادي، دائم و عام.

بينما الفئة الثانية و الّتي تمثل الجيل الحديث من 20 سنة إلى 40 سنة.

صرّحت بأنها تفضل الرّضاعة الطّبيعية من " الثدي ".

إذ أن نسبة 16.67 % من النساء ترضعن أولادهن ما بين ست أشهر إلى عام. و 0 % امرأة ما بين عام إلى عامين و 6.67 % امرأة أقل من ست أشهر و لقد حالت دون مواصلة الرّضاعة الطّبيعية و الاستمرار فيها الظّروف الآتية و الّتي عبرت عنها هؤلاء الأمهات :

- سوء الحالة الصّحيّة للأمّ؛
- عدم و جود الحليب في الثدي أي هن نساء (ضاويات)؛
- و الأخريات صرحت أنّ حليبها مرّ المذاق؛
- و الأخريات صرّحت بأنّ حليبها ملح المذاق ينفر الطفل من الثدي لمجرد تذوّقه، فينصحهنّ الطبيب بعدم تقديمه للمولود.

عندئذ فهي تفضل الرّضاعة الصّناعية أفضل من أن تقدمّه لمرضعة أخرى، هذا إذ وجدت، و حتّى و إن وجدت هذه المرضعة فإنّها ترفض إرضاع طفل ليس من صلبها؛ و ذلك تفاديا للمشكل الّذي وقع فيه الكثير من الأبناء (مشكل زواج الإخوة من الرّضاع) هذا من جهة، و من جهة أخرى تغيّر الظروف الاجتماعية، و الاقتصادية حيث يتوفّر الحليب في الأسواق، و هو في متناول جميع فئات المجتمع.

جدول رقم 8

المقارنة بين المتعلمات و غير المتعلمات في نوعيّة الرّضاعة

نوعية الرّضاعة	الفئة المتعلّمة				الفئة غير المتعلّمة				المجموع	
	من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة		من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الرّضاعة الطّبيعية	9	22,50%	9	22,50%	8	20,00%	4	10,00%	30	75,00%
الرّضاعة الاصطناعية	1	2,50%	1	2,50%	2	5,00%	6	15,00%	10	25,00%
المجموع	10	25,00%	10	25,00%	10	25,00%	10	25,00%	40	100%

و لما كانت الرّضاعة الطّبيعية هي الأسلوب الشائع في المجتمع النّدرومي فإنّ الجيل القديم سواء النساء المتعلّمات، أو غير المتعلّمات يفضلن الرّضاعة الطّبيعية، و يصرّحن أنّ هذه العملية فيها فائدتين للطّفل تتجلىّ في كون ثدي الأمّ يحتوي على ما يلي :

- أحدهما فيه الماء؛
- و الآخر الغذاء.

بالإضافة إلى كونه وقاية من الأمراض و فاصل بين البيت و دخول المستشفيات، زد على ذلك وظيفة جديدة ألا وهي الوظيفة العاطفية، و نعني بها التّفاعل العميق بين الطّفل و أمّه.

ففي اليوم الأوّل من ولادته تقدّم له " سكاتة " و هي عبارة عن كموسة من القماش تضع فيها الكمون المبلل بماء الزّهر، و العسل، و تضعها في فمه لتنقيته، و لتخفيف آلام بطنه. إذ يعتبر الكمون مهدئا. أمّا في اليوم الثاني تقدم ثديها لطفلها مبتدئة باسم اللّه و بالجهة اليمني اتباعا لسنّة رسول اللّه _ *صلى اللّه عليه و سلم* _ حيث يقول : " *كل بيمينك و ممّا يليك.* " فترضع أبناءها حتّى 20 مرّة في اليوم.

كما تتراوح عدد مرّات الرّضاعة في اللّيلة ما بين 10 إلى 20 مرّات.

ففي النّهار تحمله على ظهرها إذا كانت منشغلة، و في حجرها إذا كانت جالسة، و في المهد بجانبها إذا كان نائما. و تقول : " *ما يكبر راس حتّى يشيب راس.* ".

فهؤلاء النّساء المسنّات غير راضيات عن بنات اليوم حيث أنهن يرضعن أولادهن و هنّ منشغلات بأمور أخرى، كالنّظر إلى التّلفزة، أو التّفكير في عمل البيت أو مشاغل الحياة أو المشاكل العائلية، بينما هي كانت ترضع ابنها، إذ تبدأ _ *باسم اللّه و الصّلاة على رسول اللّه* _ و تستأنف الرّضاعة، و هي تنظر إليه بعين الرّحمة، و الحنان، و العطف. كما أنّها تبذل قصارى جهدها، فتسهر اللّيالي، و هي تحمله بين ذراعها حتّى ينام على ثديها.

إن هناك فروقا ذات دلالات إحصائية في مدة الرّضاعة بالنّسبة للجيل الحديث فلقد لاحظنا من خلال الجدول أنّ الفئة المتعلّمة هي الفئة التي تفضل الرّضاعة الطّبيعية أكثر من الفئة غير المتعلّمة و هذا إذ دلّ على شيء إنما يدل على وعي الفئة المتعلّمة.

بينما الفئة الأمية (غير المتعلّمة) فلقد صرحت إحداهن بأنها تفضل المحافظة على لياقة جسمها.

و أخريات ترى أنّ أبناء هذا الجيل لا ينفع فيهم شيء و لا يردّون الجميل للوالدين كأبناء الجيل القديم فهم عديمي الاحترام، و التقدير، و العرفان. هذا يبقى رأيها الخاص بها.

يمكن إرجاع الفروق بين الفئة الأولى و الفئة الثانية أي (الجيل القديم و الجيل الحديث) إلى كون الجيل القديم يتميز بتواجدهن الدّائم مع الأطفال و عدم انشغالهن خارج البيت، و كثيرا ما يصحبن أطفالهن إذا قمن بزيارة أحد الأقارب أو الأصدقاء لذلك يكون من السّهل عليهنّ إطعام أطفالهن عن طريق الثدي في أثناء ذلك، و اقتصادا في المصروفات حيث كانت ظروف المعيشة صعبة جدّا لا تسمح بتنويع الطّعام لأولادهنّ.

بينما الجيل الحديث فمدة الرّضاعة غالبا ما تدوم ما بين ستة (06) أشهر و اثنا عشر (12) شهرا، لأنّهن يفضلن تقديم أنواع عديدة من الطّعام خلال فترة الرّضاعة حيث أفادت بذلك جميع الأمّهات في عيّنة البحث، و غالبا ما يجهزن طعاما خاصّا للطفل كالحساء (الشوربة) و الخضروات المهروسة، و عصير الفاكهة و البيض، و الفاكهة المطبوخة و غير ذلك من المأكولات، و هذا يعني أنّ الأطفال يحصلون على خبرات مبكرة في تناول الأغذية الأخرى خلال فترة الرّضاعة. كما أنّها تدربه على ذلك حتّى تتمكن من تركه مع الآخرين الّذين يطعمونه بواسطة القنينة أو بطريقة أخرى إذا كانت منشغلة عنه أو إذا ذهبت لزيارة الأقارب و الأصدقاء.

الفصل الثاني :
التنويم

يعرف " كلاباريد " النّوم : " *بأنه وظيفة حيوية يقوم بها الكائن الحيّ ليقي نفسه من حلول التّعب.* " (1)

فالنوم في رأيه هو صمام الأمان، و قد دلّت التّجارب أنّ الإنسان لا يستطيع أن يواصل حياته العادية إذا ترك النّوم مدّة تزيد على ثلاثة إلى أربعة أيّام، و إنّ حاجة الطّفل إلى النّوم الكثير حاجة طبيعية، فعملية النّوم السّريع التّي تبطئ تدريجيا تقدم الطّفل في عمره، تستنفد منه مجهودا كبيرا يستغل في عملية الهدم و البناء اللاّزمين لأنسجة الجسم، و لابدّ له من تعويض هذا المجهود في أثناء النّوم بإراحة نفسه راحة تكاد تكون تامّة ففي الشهر الأوّل ينام الطفل عشرين ساعة تقريبا، ثمّ ينخفض ما يحتاجه من ساعات النّوم إلى أن يصل إلى اكتمال النّموّ.

و للنوم نظام خاص به، و له مشاكل عديدة منها مواعيده، أمكنته، حالة الشّخص الجسمية و العقلية، و يحسن أن تراعى حالة الطفل قبل نومه، فيكون هادئا مسرورا.

و المشكلة الأساسية التّي يعاني منها الطّفل هي نقص قدرة الطّفل على الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النّوم إلاّ بمساعدة خارجية كأن تحمله أمّه على كتفها، أو في حجرها و تهدهده أو تضعه في المهد و تهزّه، و لمعرفة الطرق التّي تتبعها الأمّ النّدرومية السؤال الأوّل يكون مصاغا كالتالي : لتنويم طفلك هل تهدهده (تراري) (*) عليه ؟ و قد كان الاختيار في الإجابة بنعم أولا فحصلنا على الجدول التالي :

---

(1) ميشيل دبابنة و نبيل محفوظ : سيكولوجية الطّفولة، دار المستقبل للنّشر و التّوزيع، الأردن، عمّان، 1984، ص 153

(*) تراري هي ترديد أناشيد مختلفة تهدئ الأعصاب و تساعد الطّفل على النّمو بكلّ راحة.

جدول رقم 9

طرق التنويم

الخلفية	الفئة المتعلّمة				الفئة غير المتعلّمة				المجموع	
	من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة		من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
تراري : نعم	7	17,50%	1	2,50%	8	20,00%	2	5,00%	18	45,00%
تراري : لا	3	7,50%	9	22,50%	2	5,00%	8	20,00%	22	55,00%
المجموع	10	25,00%	10	25,00%	10	25,00%	10	25,00%	40	100%

إنّ الإجابة هي 45 % من المستجوبات تقوم بهذه العملية، أي هدهدة الطفل أثناء نومه.

إنما هذا الجدول يبين لنا نسبة المستجوبات من الجيل الحديث، الفئة الثانية، أي من 20 سنة إلى 40 سنة، يؤكّد على عدم التّنويم عن طريق الهدهدة أي بنسبة 7,50 %.
و قد صرّحت أنّها لا تعرف ما تقوله أثناء تنويم ابنها، و تتمنى لو تعرف القليل فقط ممّا كانت تقوله الأمّهات من الجيل السّابق.

بينما الفئة الأولى من الجيل القديم، أي من 60 سنة فما فوق، فإنّ نسبة 37,50 % يحسّن هذه الطّريقة، و يضعن الطّفل في المهد و يهزّزنه مردّدات أقوالا و أناشيد مختلفة تدلّ على ثقافة النّساء النّدروميات إذ تعتبر مجالا مهما للدّراسة و البحث.

و لقد طلبت منّي امرأة أن أسجل هذه الأناشيد فنزلت عند رغبتها، فدونتها علّها تكون مرجعا لفتيات اليوم.

الله، الله، الله، كولشي بمراد الله
نيني، نيني، يا ولدي نيني يديك النّعاس
لا شريك لا وسواس
ولدي فضّة صافية و عدوه نحاس

نيني، نيني، يا راري، يا راري، يا مرقد دراري
رقد لي وليدي بالمسك العالي
راري و بربرتو وراس القط أشويتو

راري يا راري يا مرقاد الغزلان
رقد لي وليدي بالحبق و السّوسان
رقد لي وليدي على مخايد السّلطان

راري، راري، وليدي مالي
بريته جات من فاس
جابها مالي بالعبادة
العينين حبّو النعاس
ورّاس حاب لوسادة

وليدي شجرة عالية
و الماء من تحتها
وليدي فوطة حرير
و المذهب في حواشيها

نيني يا وليدي
الخصّة فوق الرّخام
عينيك و حواجبك
زادوك تقوام

وليدي زرع فداني
لا حجر لا طوب يلقاني
المال يمشي و يجي
وليدي يبقالي
وليدي لعزيز الغالي
كنز لي من مالي
المال يمشي و يولي
وليدي يبقالي

نيني، نيني، وليدي و نعاسك مهنّي
وليدي هلال، هلال، فيك الرّبح
و فيك راس المال
و فيك باش أنعاند العديان
وليدي يا صبت القمح
ولقطتك بالسّبولة
وليدي يا دارت الشمس و يا المايلة للحمورة

نيني، نيني، و نعاس وليدي مهني
ندريلك حجاب من كلّ حجوب
و حجاب ربّي العالي يحضيك
مثلت قلبي للفرّان و يا المبني على صهد نارو
من برّا ما باللي دخان
و من داخل طابولي حجارو

راريت ترارتين
و على وليدي مدلي حجابتين
حجاب من كل حجوب
و حجاب السّتر ربي يحضيك

يا طالب يا العبّاس
ما تضر بش ولدي لرّاس
يكبر و يقرا لي
يطحا لي عالم يقرى بالنّاس
و نديرلو الخادم توصل
لقلم و داوي للدّار
و نقول سعدي بوليدي طاحالي عالم

يما يا لا لا قالولي زادت عندك
بنت و البنت ماشي غولة
و لي ما يحبش البنت تعطيه
غولة تاكلو

راريت رارتاين
سكت قالوا هبيلة
ورفدت عيني للحنين
و العبد ما تصيلو حيلة

نوصيك يا واكل الرّاس
في البير رمي عظامو
و ضحك واللّعب مع النّاس
و فمك ديرلو اللّجامو

دخلت البيت أو سميت
و طارت الوجهي حمامة
القنديل يقدي بلازيت
و فتيلتو من عمامة
وجهك مليح يا وليدي
ما يليق غيل للقيادة

وليدي ما نبكيك
و يانا محتاجاتك
نطلب ربي يبقيك و يرضيك
و ما يقلب الزّمان عليك

نيني، نيني، يا ضوا عيني
يا تيك ما قالوا
المال و الذّرية
و السّعد بكمالو

رميت حجيرة
و جات في الفرّان
ترجعلي بنتي مرا
و تعتر في الذّهبان

بنتي بنيت بوها
جاو الخطّاب يخطبوها
صابوها
تحسب اللّويز مع بوها
حنّا يا حنيني
يا بيدا
أنهني بنيتي
على الكتفة
تكبر إن شاء اللّه
و تكون منها الخليفة

عيطت عيط حنينة
نوضت من كانوا نايمين
ناضو لقلوب لحنان
ورقدوا قلوب لبهايم

حبّة حلوى حلوة
اغرستها في جناني
جاوا الطّيور ينقبوها
طيّرتهم بالمعاني
وليدي يازين الزين
أو ما ولدتو ولادة
شعرو حرير مدلسي
أوراه شباب بزياد

سيوا ينا يا الحمقا
يا لي ولادك غبرو
ألي ما يبغي ولدي
راه تخلا دارو

القوالين ألي قالو
قوالهم ما يهمونـي
و لا صفيت مع ربي
حسناتهم يزيدوني

و يانا مع ربّي صافية
و النّاس مشغولة بيّا
تخد الحقّ يا ربّي
في الدّهرها و الخفي

عطيت الطير مطيار
ريشتلو ما جانـي
عطيت البويا الحنين
بعيد مكانـي عفنـي
عطيت الخويا بن أمّي
شق البحور و جانـي

و من خلال الملاحظة و المقابلة المباشرة تبيّن أنّ بنات اليوم (الجيل من سنة 20 إلى 40 سنة) يفضلن الطّرق الحديثة في التّنويم، كأن تضعه أمام شاشة التّلفزة أو المذياع، أو لعبا تتحرّك، و تصدر أنغاما موسيقية مختلفة، يتلهّى بها، و يسمع إليها حتّى يتعب، و يملّ فينام.

و لقد صرّحت إحداهن أنّها لا تعلم إذا كانت تمدّه بالعطف و الحنان، و لا تفكرّ في هذا الجانب، المهمّ أن ترتاح منه، و تقوم بأشغالها و بشؤونها.

و لكنّ الحقيقة هي أنّ الابن الّذي ينام بين ذراعي أمّه أو بجانبها في المهد تحت أنغامها، و صوتها يشعر بالرّاحة و الاسترخاء، و بالحنان و العطف، فينام مرتاح البال؛ و بالتّالي ينمو نموا سليما جسميا، عقليا و نفسيا.

صورة شمسية لأم ندرومية تراري حفيدها في المهد
يوليو 2001

و خير ما تقول الأم عند تنويم ابنها :

اللّه، اللّه و كلشي بمراد اللّه و ما يدوم غير اللّه

نيني نيني يا وليدي *نيني نيني و نعاسك مهني*
نيني نيني يا ولدي *نيني نيني يديك النعاس*

لا شريك، لا وسواس
راري راري يا مرقد دراري
رقدلي وليدي بالمسك العالي

فعلا ! إنها كلمات تدلّ على أسمى معاني الحنان، و الأمومة. لذلك ترى المسنّات (من 60 سنة فما فوق) أنّ أدوات التّسلية و اللّعب لا تساعد الطفل على الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النّوم؛ فهي تتعبه، و تتلف تركيزه، فيكون في نومه متوتّرا، و بالتّالي ينوم نموا غير سليم فيكون منفعلا، عدوانيا في معاملته مضطربا و متوتّرا.

و في الأخير تصرّح أنّ تربية الأطفال تربية حسنة، ليست بالأمر الهيّن.

فهي تبذل قصارى جهدها، و تضحي بصحّتها و نومها، و طعامها و شرابها و راحتها من أجل ابنها إذ يقول المثل الشّعبي المتداول في الأوساط النّدرومية :

" من عاهد عبد الوافي و لا كليت علفي وافي و لا شربت مايا صافي. ".

الفصل الثالث :
التقميط

هي العملية الّتي تتبعها الأمهات في استعمال خرم طويلة عريضة تحيطها بجسم المولود من كتفيه حتّى قدميه، و تحكم ضبطها بشريط من القماش.

" و إنّ تقميط المولود بطريقة محكمة من الرّجلين إلى الكتفين، حيث تحكم رجلا الطفل مستقيمة الواحدة جنب الأخرى، و اليدان مستدلّتان على الرّجلين و مغلقتين جيّدا في جميع الفصول، ذلك يحدّد أحد المجتمع على عاتقه، و طريقة لإدخال الطّفل في الحياة الرّياضية أو الحركات الجسمانية الّتي تقوم بها الأمّ لولدها بتحريك ركبتيه و وصلهما إلى الرّأس و دلك الجسم بزيت الزّيتون، و استعمال الأدوية التّقليدية المختلفة عند المرض أو قلق الصّبي، كلّ هذا يؤكدّ لنا التّأثير بالبيئة الجغرافية. " (1)

و انطلاقا من هذا التّعريف، السّؤال الّذي يطرح نفسه هو :

هل مازالت الأمّ النّدرومية تتبع التّقميط ؟

أيهما أفضل بالنسبة لك التّقميط أم التّسرويل ؟

---

(1) L'enfant d'hier à aujourd'hui, Secrétariat social, Alger, 1971, p. 31

جدول رقم 10

جدول التقميط و التسرويل

الخلفية	الفئة المتعلّمة				الفئة غير المتعلّمة				المجموع	
	من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة		من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
االتقميط	10	25,00%	8	20,00%	10	25,00%	2	5,00%	30	75,00%
التسرويل	0	0,00%	2	5,00%	0	0,00%	8	20,00%	10	25,00%
المجموع	10	25,00%	10	25,00%	10	25,00%	10	25,00%	40	100%

1 – إنّ الفئة الأولى، و هي من 60 سنة فما فوق، سواء كانت أمية أو متعلّمة، فهي اتبعت و مازالت تتبع مع أحفادها طريقة التّقميط، والدّلك بزيت الزّيتون، هده النسبة المئوية هي 50 % المتحصل عليها تدل على ذلك.

2 – بينما الفئة الثانية، و هي من 20 سنة إلى 40 سنة، الجاهلة و المتعلّمة على السّواء، فإنّ النسبة المئوية المتحصل عليها هي 25 % توضح لنا عدم اهتمامها بهذه الطريقة فهي تنسلخ شيئا فشيئا عن هذه العادة.

3 – كما صرّحت إحداهن أنّ التّسرويل أفضل بكثير من التّقميط خاصّة و نحن في عصر السّرعة، لأن التّقميط يكلّفنا عملا كثيرا، و وقتا كبيرا، إذ أنّ الأمّ تكون مجبرة على تغيير خرم الصّبي كلّمّا بلّلها و بالتّالي يبلّل الفراش و ثيابه.

4 – و نجد في هذه الفئة نفسها، أي من 20 سنة إلى 40 سنة، مجموعة من النّساء اللّواتي تقمطن أبناءهنّ تحت ضغوطات الأمهّات سواء : أمّها، أو أم الزّوج، أو الاثنان معا، و خاصّة إذا كانت تقطن معهم في نفس المنزل، و غالبا ما تقوم الجدّة نفسها بتقميط حفيدها، و دلكه بزيت الزّيتون، إذ أنّها توصي بهذه العملية لما لها من فوائد للمولود :

- إذ يحسّ بالرّاحة التامّة أثناء نومه.
- لا تؤلمه أعضاء جسمه.
- لا يتعرّض لالتواءات أنسجة الجسم.
- لا يتعذب أثناء حمله من لدن الأمّ أو الأقارب.

و كما جرت العادة عند الأمّهات النّدروميات، فإنها عندما تنهي من تقميط الصّبي تضع يدها على صدره على شكل (X) ثلاث مرّات و تردّد بعض الكلمات كأن تقول :

" بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، السّتر يا مولاي "

و هي عملية مأخوذة من النّساء المسيحيات اللّواتي كنّ يعملن في المستشفيات في مدينة ندرومة، و الغزوات.

إنّها تدلّ على الصّليب لا غير، بقيت عادة عندهنّ مازالت سارية المفعول.

و قد تتكلم مع المولود و كأنه شخص كبير، و توجه له كلّ الأمنيات في هذه الحياة حتّى تكون نبراسا لمستقبله :

أبعد اللّه عنك الدّموع، و الأحزان، و الهموم.
لتكن ذكيا، لتكن متعلّما.
لتكن ذا عزة نفس، و أنفة، و شرف.
لتكن ذا شخصية قوية.
أبعد اللّه عنك السوء، و الحسّاد، و المصائب.
لتكن في حماية اللّه، و رسوله، و صحابته أجمعين.

إنّ الخرم الّتي يقمّط بها الصّبي لها اهتمام خاص، لا يمكن تركها تجف بعد غروب الشمس، و ذلك راجع لاعتقادات تعتقدها الأمّهات جيلا عن جيل، و هي كاتالي :

- اصفرار المولود كاصفرار الشمس عند الغروب.
- الشياطين تستعملها لأغراضها الخاصة.

أمّا عن مدّة التّقميط الّتي تستغرقها الأمهات فلقد كان سؤالنا كالتالي : ما هي المدّة الّتي تستغرقينها في تقميط ابنك ؟

جدول رقم 11

جدول مدّة التقميط

الخلفية	الفئة المتعلّمة				الفئة غير المتعلّمة				المجموع	
	من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة		من 60 سنة فما فوق		من 20 سنة إلى 40 سنة			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
من الشهر 1 إلى الشهر 2	1	3,33%	6	20,00%	1	3,33%	1	3,33%	9	30,00%
من الشهر 3 إلى الشهر 4	2	6,67%	2	6,67%	2	6,67%	1	3,33%	7	23,33%
من الشهر 5 إلى الشهر 6	7	23,33%	0	0,00%	7	23,33%	0	0,00%	14	46,67%
المجموع	10	33,33%	8	26,67%	10	33,33%	2	6,67%	30	100%

رسم بياني للجدول رقم 11

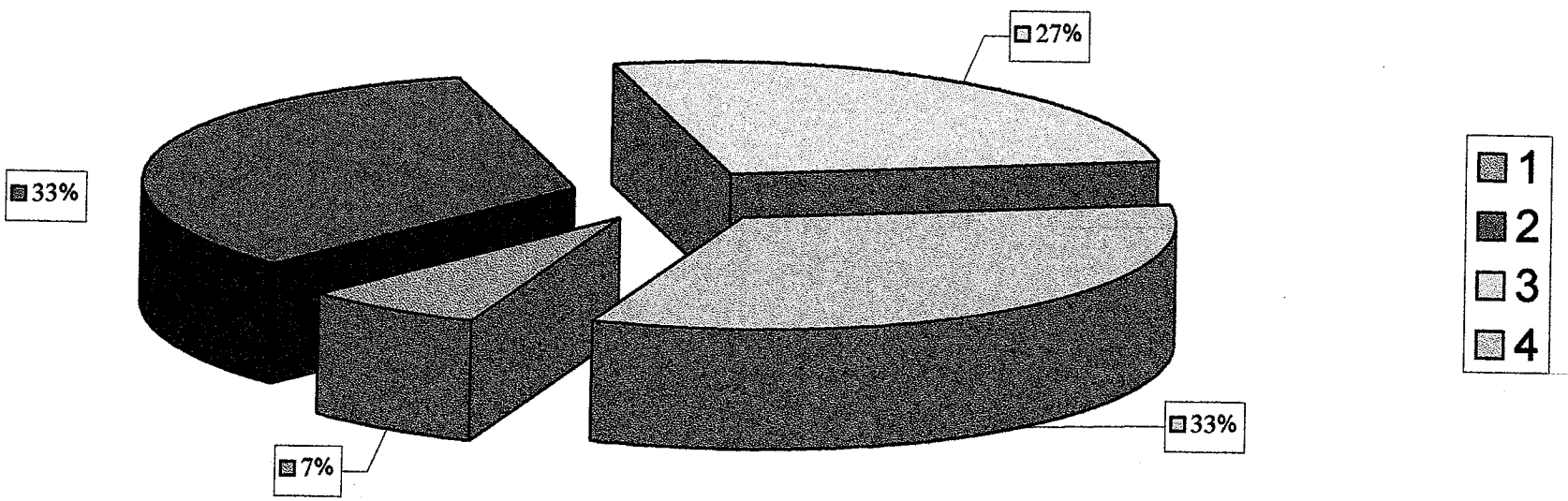

نلاحظ من خلال الجدول رقم 11 أن الفئة الأولى من 60 سنة فما فوق أميّة أو متعلّمة فهي تقمّط ابنها لمدّة أطول، بينما الفئة الثانية أي من 20 سنة إلى 40 سنة، أميّة أم متعلمة فهي تقمط ابنها في الأسابيع الأولى من الولادة فقط إلا بعض منهنّ واللّواتي تجد من ينصحها و يرشدها إلى فعل ذلك كالأمّ أو حماتها (أم الزّوج) فتدوم المدة عندهنّ طويلا.

الفصل الرابع :
التعليم

كانت أمكنة التّعليم بهذا المغرب متعدّدة، شملت الكتاتيب، و الرّباطات، و المكتبات العمومية و الخاصّة، و قصور الملوك و الأمراء، و الكبراء، و دور العلماء، و حتّى الدّكاكين، و لربّما كانت الأسواق، و الطّرقات العامّة مجالات للتّناظر و التّباحث. (1)

و يصرّح أحمد توفيق المدني في هذا المجال : " *كان التّعليم العربيّ الحرّ في الجزائر يشمل قديما ثلاث مراتب : أولي، و يعطى في الكتاتيب، و يقبل النّاس عليه إقبالا شديدا، فلا تجد حارة من حارات المدن و القرى، أو مضربا من مضارب الخيام، أو دشرة إلاّ و بها الكتّاب و الطّالب، و كان التعليم بها بسيطا جدّا يشمل القراءة و الكتابة و القرآن الشّريف، و بفضل تلك الكتاتيب البسيطة كانت الأمية قليلة الانتشار بالقطر الجزائري أما التّعليم الثّانوي و العالي فكان بالمساجد و الزّوايا يتولاهما شيوخ من المشهود لهم بالعلم و الدّراية، و النّزاهة، فكانت الدّروس الإسلامية العربية توجد في أغلب المساجد و الزّوايا.* ". (2)

إنّ المدينة ندرومة شأنها شأن مدن، و قرى الجزائر كانت الكتاتيب القرآنية منتشرة فيها و في أحيائها.

---

(1) إبراهيم العبيدي التوزوي : تاريخ التّربية بتونس، الشركة الوطنية للنشر بتونس، بدون تاريخ، ص 97

(2) أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر، الطبعة الأولى، المطبعة العربية في الجزائر، بدون تاريخ، ص 304

حيث كلف " روني باسي " (René BASSET) يوم كان مدير المدرسة العليا للغات بالجزائر العاصمة في أفريل 1900 ببعثة إلى المدينة ندرومة للقيام بدراسة عنها، و عن منطقة ترارة، دراسة تاريخية، أركيولوجية، و جغرافية، فصرّح أثناءها أنّه يوجد 118 (1) مسجدا و كتابّا في المدينة و ضواحيها، يقصدها الطلبة و الأقاقون و نقصد بالطلبة كلّ الأشخاص الذين يأتون للكتّاب يطلبون حفظ القرآن و العلم بصفة عامّة، أما الأقاقين فإنّها نسبة إلى الآفاق، قال ابن منظور في لسان العرب : " *و في التّهذيب رجل أفقي بفتح الهمزة و الفاء إذا كان من آفاق الأرض أي نواحيها، و تطلق في المدينة ندرومة على الطلبة الذين ليسوا من سكان المدينة، و قصدوها لطلب العلم حيث في كل مسجد، و في كلّ مكان مقدّس، و في كلّ زاوية، يوجد كتّاب لتعليم القرآن.* ".

السؤال الذي ألقيناه على أولياء الأطفال هو :

ماذا تفضل لابنك في وقتنا هذا الكتّاب أم الحضانة أم الدخول إلى المدرسة مباشرتا ؟

---

(1) René BASSET : Nédroma El-Traras, Leroux, Paris, 1901, p. 68

جدول رقم 12

طرق التعليم

الخلفية	الحضانة		الكتاب		المدرسة		المجموع	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
وسط علمي	3	20,00%	1	6,67%	1	6,67%	5	33,33%
وسط حرفي	1	6,67%	3	20,00%	1	6,67%	5	33,33%
وسط فلاحي	0	0,00%	3	20,00%	2	13,33%	5	33,33%
المجموع	4	26,67%	7	46,67%	4	26,67%	15	100%

رسم بياني للجدول رقم 12

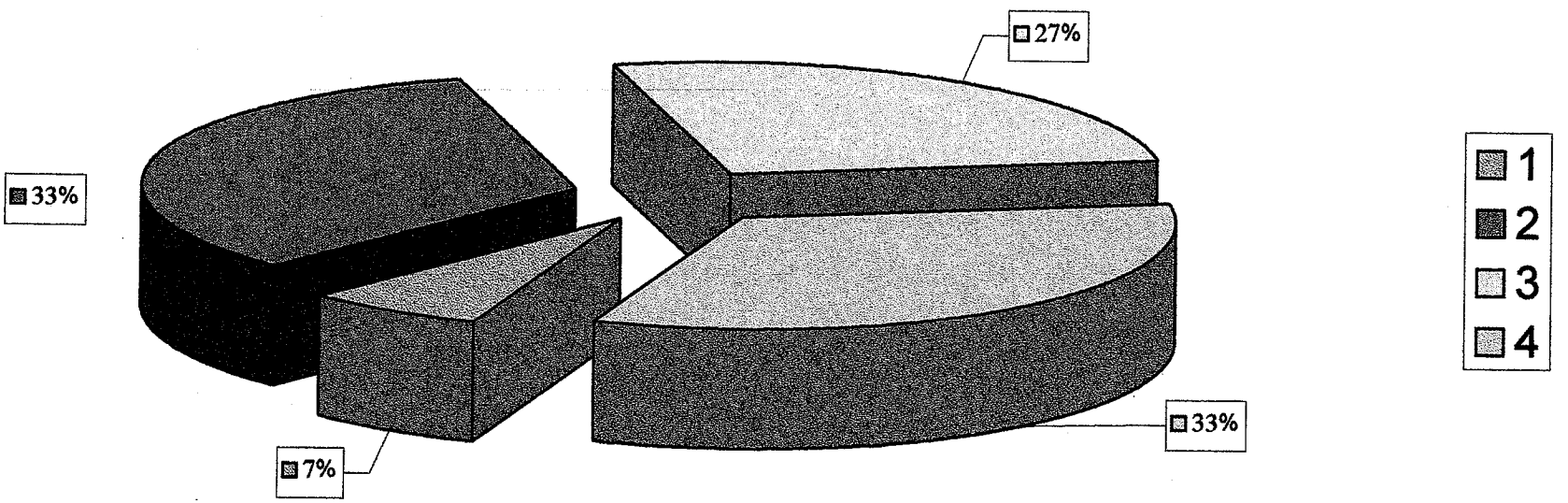

و لقد مررت على الكتاتيب القرآنية في ندرومة، فوجدت في كلّ كتّاب مجموعات من الأطفال الصّغار ذكورا و إناثا، يقرأون القرآن، و يردّدون بصوت مرتفع و يهتزون، و يصيحون كالعادة.

فصرّح هؤلاء الفقهاء أنّ العملية ما زالت سارية المفعول في المدينة، لكن لا يمكن مقارنتها بالزّمن الّذي انقضى. فالمقارنة بين رسالة الكتّاب قديما، و رسالته اليوم تختلف اختلافا بيّنا، حيث نجد مهمّة الكتّاب قديما كانت تنحصر في محو الأمية، و كان الإقبال عليه أكثر لأنه كان المنبع الوحيد للتّعلم، و إلقاء بعض الأضواء على المبادئ الدينية، و الحفاظ على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية. أمّا اليوم فهناك عدّة منابع لمكافحة الأمية: كالمساجد الكبرى و الجامعات، و المدارس الرّسمية، النّوادي، و التلفزيون، و المكتبات ... إلخ.

و كان الطفل النّدرومي قديما يعتبر الكتّاب مكانا مقدّسا و لشدّة ارتباطه بالعلم، و التعلّم فإنّه يدرس رغم المخاوف التي يشعر بها اتجاه الشيخ الذّي قال عنه السيّد جباري مجمد بن عمر : " *إنّ الفقيه شيخ متشدّد، متسلط، تقريبا أعمى، يجلدنا على أجسادنا لأسباب تافهة أو بدون سبب يترك على الجسم أثارا زرقاء تؤدي إلى التهابات جلدية مؤلمة، و في بعض الأحيان يرمينا بحجارة التيمم من مكانه حيث يجلس، فقد يصيب الواحد منّا على رأسه، و ماذا عن الفلقة ؟ فإذا أراد الفقيه ضرب ولد أدخلت رجلاه في الحبل، و لويت عليهما الخشبة فلا تستطيع القدمان الحركة، و نزل عليهما السّيد بالعصا بدون شفقة و لا رحمة، فلا يؤثر فيه البكاء، و لا الصّياح تحت تشجيعات ولي الأمر الذي يقول له بصريح العبارة " أنت أقتل و أنا*

أحمله على اللّحد " فهل لهذه الأسباب حفظت القرآن بكامله في سن 12 من عمري حيث تحصّلت في نفس السّنة على شهادة التّعليم الابتدائي. " (1)

و السؤال الثاني الّذي يطرح نفسه هو :

إذن مادام هناك مراكز عديدة لمحو الأمية، فلماذا توجه ابنك إلى الكتّاب ؟

فأجابت عن هذا السّؤال فئتان من الأولياء :

- فئة متعلمة ذات مستوى عالي من التّعليم.
- فئة أميّة.

- فالفئة الأميّة ترى ضرورة مرور الطّفل بمرحلة الكتّاب، مثلما فعل الأسلاف، و ضرورة حفظ القرآن، الّذي يعتبر كتابا سماويا مقدّسا، لا بدّ من حفظه، و ترتيله.

- الفئة المتعلمة، ترى أنّه من الأغراض الواضحة في تعلّم هي التّربية الدّينية الخلقية، فالإسلام بصفة عامّة، و القرآن بصفة خاصّة ينظران إلى الأصل الأخلاقي للسّلوك الإنساني، و فيهما بيان عن البواعث الخلقية.

---

(1) DJEBBARI Mohammed Benamar : Un parcours rude et bien rempli, Office des Publications Universitaires, Imprimerie régionale d'Oran, 1999, p. 93

فمعرفة الدّين عند المسلمين لا تتم إلاّ بتعليم القرآن، و تفهمه، و إذا بدأ الصّبيّ الصّغير في حفظ القرآن، و معرفة تعليم الدّين اختلطت هذه التّعاليم بشخصيته، كلما نما، و بلغ مبلغ الرّجولة، فتتحد البواعث الدينية في نفسه مع الزّمن، مع البواعث الشخصية، فمرجع البواعث الأخلاقية إذن إلى الدّين، و إنّ القرآن يخاطب العقل و الوجدان لأنّ الطّبيعة الإنسانية فيها التّفكير و التّدبير، و فيها المحبّة و الكراهية، و يعمل الإنسان بدافع من الرّأي و النّظر كما يتحرّك بقوّة الخوف و الغضب.

"فمن الغايات الدّنيوية التي يحققها الوالد من تعليم ابنه أن يكون به سعيدا، و الغاية الأصلية هي رضا الله، و الذي يعلم ولده و يحسن تعليمه و يؤدّبه فيحسن تأديبه، فقد عمل في ولده عملا حسنا يرجى له من تضعيف الأجر فيه." (1)

و في هذا الصّدد يرى ابن خلدون أنّ الهدف من تعليم القرآن يتمثل في ما يلي، فيقول : *"اعلم أنّ تعلم الولدان للقرآن شعار من شعار الذين أخذ به أهل الملّة، و درجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق به إلى القلوب من رسوخ الإيمان، و عقائد من آيات القرآن، و بعض متون الأحاديث، و صار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الكلمات، و سبب ذلك أنّ تعليم الصّغر أشدّ رسوخا و هو أصل لما بعده، لأنّ السّابق الأوّل للقلوب كالأساس للكلمات."* (2)

---

(1) أحمد الأهواني : التربية في الإسلام، مطبعة الحلبي، مصر، 1955، ص 100

(2) ابن خلدون : المقدّمة، مطبعة محمد عاطف، مصر،بدون تاريخ، ص 418

أمّا بالنسبة للسّن فالسؤال هو :

ما هي السّن المحدّدة لإدخال الطفل إلى الكتّاب ؟

إنّ الأولياء يرون أنّ الطفل يدخل الكتّاب حينما يصبح قادرا على الكلام الفصيح، أي أربع سنوات فما فوق، و منهم من يواصل الدّراسة في الكتاب حتّى بعد دخوله إلى المدرسة الرّسمية، في أيام الدّراسة، و أيام العطل قصد حفظ القرآن و ختمه.

و لقد كان الطّفل قديما عند ما يبلغ 5 إلى 6 سنوات يصحبه أبوه أو أخوه الأكبر إلى الكتاب، و لم " تشترط ندرومة سنّا محدّدة لقبول التلاميذ و إنّما الغالب أنّ آباء و أمّهات الأولاد يدخلون أولادهم الكتاتيب بعد الختان، و الختان يقع في سنّ الإثغار أي عند ما يبدأ الولد في تبديل أسنانه الرّواضع، و هو ما يعادل السّنة الخامسة تقريبا. " (1)

مصحوبا لأوّل مرّة، و في أوّل يوم بطبق من " المسمّن " أو " خرينقو " و القهوة و هذا ما يسمّى بالفتوح، (2) رجاء من اللّه أن يفتح على الابن في تعلّمه للقرآن.

---

(1) عبد الرّحمن بن أحمد التيجاني : الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 22

(2) Georges MARCAIS : Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, LEROUX, Paris, 1902, p. 243

و " مهما تكن مخاوف الصّبيّ فإنّ الدّخول إلى الكتّاب يسجل مرحلة جديدة في حياته قائلا : " سوف أحفظ القرآن. "، " قريبا سأكون من الرّجال الأتقياء. "، سوف أعدّ من الرّجال الّذين دائما في هدوء و تفكير، لأن مطالعة الكتاب المقدّس يفرض على قارئه و قار التّعليم، و بساطة الوجه. " (1)

" و لم تستقطب كتاتيب ندرومة البنات للتّعليم، و الأباء أنفسهم لم يسمحوا لبناتهم أن يلتحقن بالكتّاب، و خصوصا سكان البوادي، و إنّما كان الأباء و الإخوة و الأجداد هم الّذين يتولون تثقيف البنت في المنزل، يحفظونها ما تحتاج إليه في الصّلاة من القرآن، و قد تحفظ منه أجزاءا تقلّ، و تكثر على حسب حرص الأباء، أو على حسب فراغهم، و انشغالهم، كما يثقفونها في أمور دينها و كلّ ما تحتاج إليه من أمور الشّرع، العبادات، و الأخلاق الفاضلة. ". (2)

يقول الكاتب " روزيت " في كتابه رحلة في البلاد الجزائرية سنة 1833 عن المرأة النّدرومية : " *إنّها سيدة البيت لكنّها محجوبة عن الشوارع و محرومة من التّعلم و الشّغل رغم ما كانت تحظى به من الاحترام. ".*

---

(1) Neffissa ZERDOUMI : Enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien, François MASPERO, Paris, 1982, p. 195

(2) عن الوالدين، مصطفى بوزيان و ماحي عمّارة

فيتعرف الطفل لأوّل مرّة على الكتّاب و ما يحتويه من وسائل التّدريس، و الّتي تتمثّل في : حصير كبير مصنوع من مادة الحلفاء، و زير فيه ماء عليه غطاء ثبّت فيه حبل طويل ربط فيه كوز ليستقي منه الشّارب، و مسمار كبير في الحائط تعلّق عليه الفلقة و هي عصا غليضة تزيد قليلا عن المتر، ثقب فيها ثقبان ثبّت فيهما حبل، فإذا أراد الفقيه ضرب ولد أدخلت رجلاه في الحبل و لويت عليهما الخشبة فلا يستطيع القدمان الحركة، و عود من الجريد طويل يستطيع أن يضرب به أقصى ولد في الحجرة، و حجارات التّيمم، و مادّه الصّلصال (*)، و المداد التّقليديّ المصنوع من الصّمغ (*)، و أقلام من القصب يكتبون بها على اللّوح مقدارا من القرآن بطريق التّهجي، و الإملاء، و بعد حفظه يمحى اللّوح بالماء و غسالة المحو، و تهرق بعيدا عن مواطئ الأقدام احتراما لقداسة حروف القرآن.

و خير شاهد على هذه المرحلة من التّعليم في ندرومة شخصية الأستاذ جبّاري محمّد بن عمر من خلال كتابه : " Un parcours rude et bien rempli " حيث ذكر لنا مجموعة من الفقهاء الّذين درّسوا بالكتاتيب القرآنية في ندرومة :

(*) الصلصال : مادة ترابية يابسة بيضاء تطلى بها اللّوحة بعد الغسيل لتصبح بيضاء.

(*) الصّمغ : مصنوع من صوف الأغنام الملطّخة بالعرق تحرق في إناء مع قليل من الماء حتى تصبح على شكل سائل أسود أو من صبغ الأشجار.

- سي محمّد بن الطّيب، في حيّ بني زيد بمسجد سدي حسين.
- سي محمّد السعيدي السنوسي، بلالا الزّهرة الشريفة.
- سي الزّياني، قرب زاوية القادرية.
- سي أحمّد بن عيسى، في بني عقّان.
- سي أحمّد بن رحّال، بحيّ سيدي بوعلي.
- سي الطّاهر النّقّاش، بسيدي بلغيت.
- سي غرناطي حاج مكي، بمسجد السيّدان.
- سي محمّد الغماري، في التّربيعة.
- سي الزريهني لخضاري، في درب الخربة.
- سي محمّد البوعناني، في راس الجماعة.

لقد درس السّيد جباري في هذه الكتاتيب القرآنية حيث تدرب على تأدية صلاة الفجر في وقتها، و بعدها يتجه نحو الكتّاب رغم الظّلام إلاّ أنّ التّلاميذ متربعين متلاصقين يقرأون القرآن، و يهتزون، و يصيحون، و عند الساعة 7 و 30 دقيقة أو عند الساعة 7 و 45 دقيقة يتّجه التّلاميذ الذين يدرسون في المدارس الفرنسية مسرعين إليها لأنها تغلق أبوابها على السّاعة الثامنة صباحا، و تنتهي الدّروس على السّاعة الحادية عشر.

بعد خروج الكبار من المدرسة الفرنسية يتوجهون مباشرة إلى المساجد لدراسة اللّغة العربية على يد المعلّم " الحاج محمّد ابن مصطفى بن رحال. "، و عند السّاعة الواحدة يلتحقون بالمدرسة الفرنسية بعد تناول الفطور.

و عند الرّابعة مساء يتجهون نحو الكتّاب " للتعشية "، حتّى أذان المغرب، و بعد تأدية صلاة العصر يتجمعون حول الفقيه لتكرار السّور الّتي سبق و أن حفظوها حتّى ترسخ في الذّاكرة، و بعد صلاة العشاء يتّجه كلّ واحد إلى بيته لينجز واجباته المنزلية ليوم الغد.

كان التّدريس في الكتاب يمرّ بمراحل :

أولا : مرحلة الختمة حيث يقام حفل صغير بالمناسبة، و تزيّن اللّوحة لتقدّم إلى العائلة الّتي ستفرح بختم ابنهم للقرآن، فيهنئ كلّ أب الفقيه حسب ما يقدر عليه.

ثانيا : مرحلة التخريجة حيث يتمكن الطّالب بعدها من مواصلة الدّراسة، و طلب العلم في الجزائر العاصمة، أو في فاس، أو تونس، أو أوروبا، كلّ حسب إمكانياته المادية، و بالمناسبة يقام حفل كبير يفرح فيه الكلّ.

إنّ الكتّاب من جهة، و المدرسة الفرنسية من جهة أخرى يأخذان وقت الطفل من الفجر إلى صلاة العشاء. ليس لهم عند الفقيه إلاّ يوم واحد للرّاحة هو يوم الخميس لأنّه يوم السّوق الأسبوعية، حيث يخرجون في هذا اليوم جماعات جماعات إلى الحقول، و الغابات للتّنزه في منطقة " أغبالو "، وادي "ابن صمارة"، أو " أغيلاس "، لجني مختلف الفواكه و الخضر. أو سيدي بوحجلة للاستحمام في حوض الماء أو إلى سطح الكهف للتمتع بالمناظر الطّبيعية.

كما كان لهم عطلة أخرى في اليوم 15 من رمضان يدعى يوم النّفقة حيث يتّجه الطّلبة بسللهم إلى بيوت العائلات يردّدون بصوت عالي :

بيضة بيضة لنا باش انزوّق لوحتي
لوحتي عند الطالب و الطالب في الجنّة
و الجنّة محلولة حلّها مولانا
مولانا و أصحابوا في الجنّة يوصابوا
اللّهم آمين يا ربّ العالمين
طلعت ميمونة فوق الزّيتونة
قالت يا ربّي عمّر لي حجري
بالتمر و بو عمر و الفاكية و الماقية
و اسقي الحبق و الدّالية
سرحونا يا موالين الدّار اللّه يسرّكم للجنّة

فتخرج ربات البيوت، و تملأ هذه السّلل بالقمح أو الفول أو تشيشة أو الزّيتون المطمّر بالملح، أو زيت الزّيتون، أوثلاث أو أربع بيضات أو خبزة أو قمح أو شعير (الخبز الأسود) و عندما تملأ هذه السّلل، يضعونها عند الفقيه يأخذ حظّه منها، كما كان يأخذ كلّ يوم أربعاء بما يجود به الأباء عليه، أو أثناء الختمة، أو التخريجة.

العادة الثانية، و تتمثل في استقبال أيام الرّبيع، و خروج جميع الطّلبة برفقة الفقيه إلى نزهة في الحقول حيث يشارك الجميع في وجبة الغذاء أحدهم بالسّكر، و آخر بالدّقيق و آخر بالزّيت و تقوم زوجة الفقيه بتحضير " المحرّش " أو " البسّس " بالشّاي كلّ هذه اللّوازم تحمل على ظهر حمار في طريقهم إلى سيدي بوحجلة، أو سطح الكهف، أو أغبالو.

تختلف البرامج باختلاف الكتاتيب، فالصّغرى منها لا تقوم إلاّ بتعليم القراءة، و الكتابة، و حفظ القرآن، و بعض المبادئ الأولية في الفقه و التّوحيد و القواعد.

أمّا الكتاتيب الكبرى فإنّها تتعمق في التّعليم القرآني و تدريس بعض المواد : الخطّ، الرّسم (رسم القرآن)، القراءات، التّجويد، القواعد، الحفظ (القرآن، الأحاديث، البردة). الفقه، السّير، التوحيد، العبادات.

لهذه الأسباب وجد الأفاقون بالمدينة، حيث كانوا يقصدونها من كلّ مكان من ولايات الوطن الجزائري، كمستغانم، تلمسان، سيدي بلعباس، تيارت، و حتّى من المغرب الأقصى، كوجدة، أحفير، بركان، الرّيف المغربي و غيره.

و أعمار هؤلاء الطلبة تتراوح ما بين 15 سنة إلى 40 سنة.

يأتون فيطلبون السّكن و القراءة، و إذا ما وافق معلّم الكتّاب على إسكان الطالب الجديد، فينظم إلى المجموعة السّابقة الموجودة بالكتّاب يشاركهم الحقوق، و الواجبات. و من حقوقه الأكل، و الشرب بالمجان، و كذلك المبيت، و احترام شخصيته، أمّا الواجبات الّتي تفرض عليه و يتقبلها بصدر رحب الحياء الكامل، و القيام بشعائر الّدين. مساعدة المعلّم إن احتاج إليه، الدّوران على بيوتات القرية أو الحي لجمع الطّعام كما هو المعتاد، تحضير الحطب من الغابة مرّة أو مرّتين في الشهر لتدفئة ماء الوضوء، و تنشيف الألواح، إلى غير ذلك من الواجبات. و جرت العادة أن كلّ يوم عند العصر يذهب طالبان أو ثلاثة بالتّناوب إلى بيوتات

الحيّ و يطرقون الباب بقضيب، فيخرج إليهم ربّ المنزل أو ولده فيعطي لهم طبقا من الطّحين مقدار رطل أو نصف رطل، و عند العشاء يعود الطّلبة الكرّة على تلك البيوت نفسها، و هم يحملون قدورا و أواني مهيأة لحمل الطّعام، فتخرج لهم عائلات المنازل قسطا من عشائها المحضر، قد يكون مرقا باللّحم، أو " كسكسا " و خضرا، و قد يكون حليبا و خبزا فيتعشى الطّلبة من هذا العشاء و يحتفظون بما بقى لغداء اليوم المقبل. أمّا الطّحين فيبيعونه في الأسواق، و يقتسمون ثمنه لشراء كسوة أو حاجات خاصّة، و هكذا كلّ يوم، و طيلة مقام الطّلبة في الكتاتيب فكانت الصّدقة جارية، و البركة موجودة.

كثيرا ما يستدعونهم إلى بيوتهم في كلّ مناسبة، يقرأون ما تيسّر من القرآن، و يدعون لربّ المنزل بالخير، و هو يكرمهم بما لديه من مال و طعام. أو خراف أو دجاج و كلّ من حضر المجلس يتكرّم عليهم بما تيسر له.

أمّا عملهم اليومي الدّائم، فهو حفظ القرآن، و مراجعته، و استظهاره، و حفظ بعض النصوص من الفقه أو القواعد و المدائح، و الأحكام، و مساعدة الفقيه في التّعليم و الأذان، و إقامة الصّلوات، و ربّما يساعدونه أحيانا في حصاد زرعه إن كان له زرع، أو غرس، أو سقي، و قطف، ثماره و بقوله من البستان إن كان يملك بستانا أو حديقة. (1)

---

(1) عن ذاكرة بعض شيوخ المدينة

و قد يقضي هؤلاء الطّلبة أمسيات في كتّابهم يشاركهم فيها حفظة القرآن من سكان الحيّ، و ربّما يأتي إليهم مجموعات من طلبة الكتاتيب الأخرى المجاورة، فيذبحون خروفا أو أكثر و يسهرون ليلتهم بين أكل و شرب شاي أو قهوة، بما يقرأون القرآن بألحان مختلفة و يتفكّهون بما عندهم من فكاهات قديمة، و حديثة، و ربّما يقومون بألعاب بسيطة تسلية و شحذا للأذهان يقومون بهذه السّهرات في المواسم، و في شهر رمضان، و ليالي الخميس.

و خير شاهد على هذا، واحد من الشّخصيات الّذين درسوا بالمدينة ندرومة من سنة 1921 إلى سنة 1926 إنّه السّيد " *خبيشات علي* " (*)، أتى إلى المدينة قادما من منطقة " بني سنوس " ولاية تلمسان حيث كان يقيم مع المدرّس " بوري أحمد " بمنزل رمعون محمّد الصّغير، على خلاف الطّلبة الأقاقين الّذين كانوا يقيمون في الكتاتيب.

تردّد على الكتّاب، و درس القرآن على يد الشيخ سي محمّد بن الطّاهر بحيّ سيدي بلغيت (قناوة العليا)، كما درس العجرومية على يد سي محمّد المصطفى في المسجد الكبير.

(*) السيّد خبيشات علي قائد ناحية الخميس من سنة 1942 إلى سنة 1957 المولود بتاريخ 06 جوان 1909، بقرية بني سنوس و مازال على قيد الحياة يقيم بمدينة وهران حاليا.

و تتلمذ في المدرسة على يد المدرّس " بوري أحمد " و المدرّس أولقات (HONLGATE) و المدرّس "كوردال" (CORDEL) و تحصل على شهادة التّعليم الابتدائي ثمّ انتقل منها إلى مدينة تلمسان لمواصلة التعليم الثانوي، و منها إلى الشام و من الشام، عاد إلى بلذته " خميس " ولاية تلمسان و عمل بها قائدا للناحية و نائبا لوالده.

و صرّح هذا الأخير أنّ سكان ندرومة لم يكن لديهم وقت فراغ، إنهم أناس يشتغلون بالحرف، و بالعلم و التعلّم نهارا، و بالتجمعات ليلا في الزّوايا حيث يتذوّقون الموسيقى الأندلسية و المدائح الدّينية.

و لقد واصل هؤلاء الطلبة و الأفاقين تعليمهم بجامعات شهيرة في الإسلام مثل فاس و القيروان و جامع الزّيتونة بتونس أو القاهرة أو الدّول الأوربية.

إنها طريقة تعليم مفيدة يعترف بها، و بهذا التّكوين الجيّد كلّ من درس في الكتاتيب القرآنية قديما و يؤكدّون أن نجاحهم في الحياة مرهون بها، حيث تخرج من هذا الكتّاب الطّالب، الفقيه، العالم، القاضي، الطبيب، المهندس، الوزير و غيرهم من الشّخصيّات العظيمة التي تحتل مراكز على مستوى الوطن، و الخارج.

لكن و للأسف الشّديد أجيال اليوم تفضل الحضانة عن الكتاب، و ترى أنّ في الحضانة تعلمهم سيّدات مهّذبات، أو آنسات ظريفات، يعلمن على أحدث طراز من البيداغوجيا، و يستدرجن بهم من اللّعب إلى القراءة، و يتحايلن على تشويق الطّفل إلى الألف و الباء، و يسرقن التّعليم عن طريق الصّور، أو القصص، أو نحو ذلك، و يقلبن ما كنا فيه من عيش جاف بالنّسبة لهم إلى ليّن ناعم. أكثر أوقات النّهار مرح و لعب و دروس كأنّها لعب، و أناشيد ظريفة، و موسيقى لطيفة، و العلم يعطى كما يعطى كوب من العصير، و ضرب على البيانو بدل الضرب على الأبدان و نحو ذلك من ضروب النعيم. لكنّ هذا النّعيم لم يعط ثمرته مثلما أعطاه الكتّاب رغم القساوة، و الشدّة في المعاملة الّتي يرفضها الأولياء، و أبناؤهم في هذا الزّمان حتّى الطّفل يتعلم منذ نعومة أظافره أنّ الضّرب ممنوع، و أنّ المناشير الوزارية تنصّ على ذلك، فإذا هدّدته أجابك بهذه الأسطوانة الّتي يحفظها عن ظهر قلب، و هذا ضرب من الخطأ لأنّه بهذه الطّريقة تعلم عدم الاحترام، و الامتثال للأوامر و الاستماع للنّصائح و الإرشادات.

و هذه الطريقة في التّأديب كانت مستعملة في القديم : قال القابسيّ في هذا الصّدد : " *يضربهم على كلّ شيء ثلاثة أسواط تحت القدم و قال أشهب يضربهم على الهروب من المسجد عشرة أسواط، و على السبّ سبعة، و على الحفظ ثلاثة، و محل الضّرب تحت القدم، و لا ينبغي للظهر و للبطن كما يفعل من لا دين له.* " (1)

---

(1) عبد الرّحمن بن أحمد التيجاني : الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 40

من أبرز الشخصيات الّذين تتلمذوا في الكتاتيب القرآنية بندرومة حسب ما جاء في معجم " أعلام الجزائر ".

- عبد السلام بن محمّد الكومي الندرومي : وزير من الأعيان ولي الوزارة لعبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين سنة 553 ه، و كان يدعى المقرّب لشدة قربه و اتّصاله بالخليفة. (1)

- محمّد بن سحنون الكومي الندرومي أبو عبد اللّه : طبيب عالم بالعربية، و الأدب من قبيلة كومية، درس الطب على يد أبي الوليد بن رشد، كان من أطباء النّاصر المؤمن محمّد بن يعقوب، ثمّ من أطباء المستنصر المؤمنين. له من الكتب " اختصار كتاب المستصفى للغزالي " " عيون الأنباء " و معجم المؤلفين. " (1)

- أحمد بن أحمد بن عبد الرّحمن بن عبد اللّه شهاب الدين الندرومي التلمساني المعروف بابن الأستاذ الندرومي : عالم بالمنطق من كبار المقرّبين، فقيه مالكي له " كفاية العمل " اختصر فيه شرح شيخه ابن مرزوق. (1)

---

(1) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر لعادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثقافية للتأليف و النشر، بيروت، لبنان، ط. 3، 1403 ه- 1984 م، ص 328-329

الفصل الخامس :
الحرف و الممارسات التقليدية

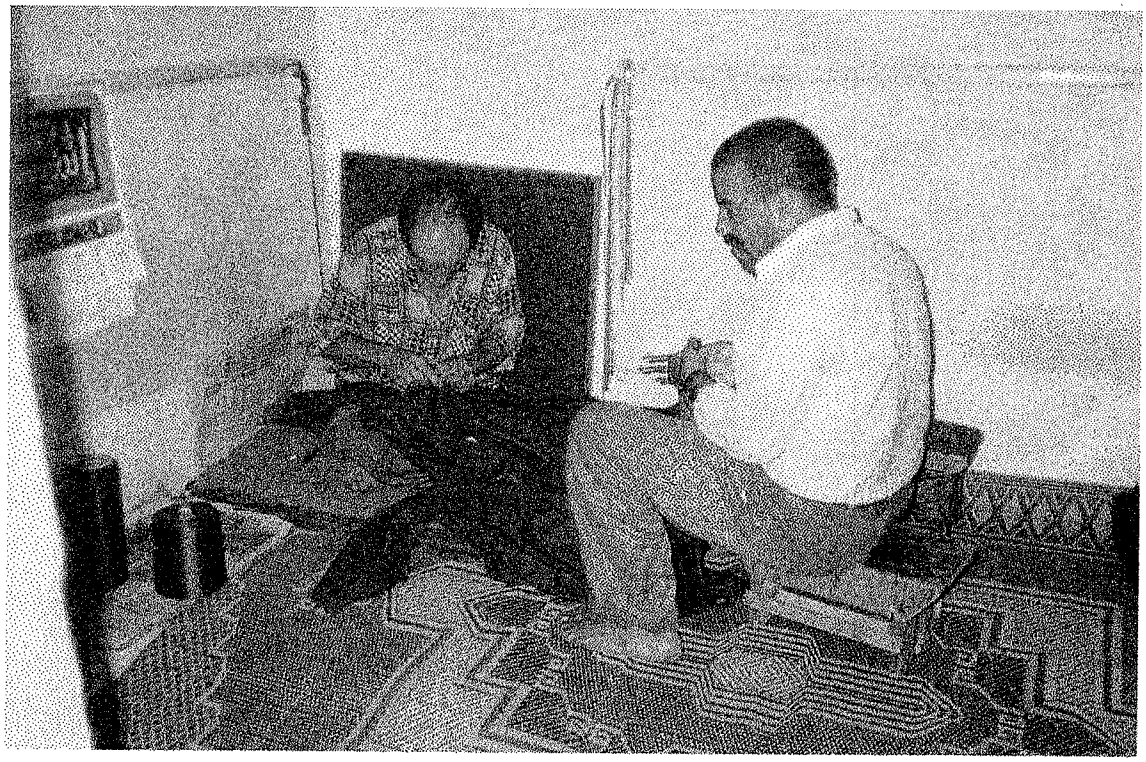

صورة شمسية لحرفة صناعة الجلابة بمدينة ندرومة
يوليو 2001

" اشتهرت ندرومة بسوقها الأسبوعيّ الّتي يؤمها أكثر من 4000 شخصا كلّ من وجدة، مغنية، تلمسان، و من مدن بعيدة جدّا و هذا حسب ما جاء في مقال " حمزة بن رحال " نظرا لما يعرض فيها من بضائع مختلفة، أقمشة القطن، و أواني فخارية، و الصّوف، شوارعها محفوفة بالحوانيت، و معارض الصّناعات التّقليدية، و بها عدّة مطاعم صغيرة، و بها مقهى، و أماكن الاجتماع مثل ساحة التّربيعة، و دكاكين الحلاقة، و الحمامات، و هناك في مختلف الطّرق الدّاخلية الصّباغون، و صنّاع و جماعة من الحدّادين يصنعون أدوات الحرث، و صفائح الخيل، و كانت أغلبية المنازل عبارة عن حوانيت للفواكه و الخضر و اللّحوم تحيط بسوق كبرى للحيوانات، و كانت الحياة الحضرية سائدة بحيث نظمت الشوارع، و منحت البناءات الضّخمة حولها، فنرى التّرتيب بين المنازل و الأحياء الّتي جمعت السكّان حسب مجموعات في أماكن مختلفة تفصلها الجدران، و حولها الفضاء الواسع، و الحدائق، و المياه في مجتمع متماسك الرّوابط حريص على حياته الجماعية دون اكتراث بالانهيار. ". (1)

---

(1) أندري بريان، أندري نوشي و إيف لاكوست : الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 203

و أكدّ " LEON L'africain " أنّ الأهمية الحضارية للمدينة ظهرت في القرن 16 فوصفها قائلا : " *ندرومة عاصمة صغيرة مستقلة، غنية بالحرف، و مرتبطة اقتصاديا بتلمسان.* " (1)

فالسّؤال المطروح هو :

هل مازالت ندرومة غنية بالحرف ؟

ما هي الحرف الموجودة بها اليوم ؟

و من الّذي يمارسها ؟

كانت ندرومة مدينة الحرف المختلفة، و لقد أثبتت دراسات جاني " JANIER " سنة 1867 : " *أنّ 17 محلا من الطين كان بهذه المدينة و بقي منها 06 محلات سنة 1948 يعمل بها 12 رجلا يتراوح سنّهم ما بين 45 سنة إلى 60 سنة.* " (1)

و عند موتهم لا يستخلفون، و من المؤكد أنّ الحرفة قديمة قدم المدينة، و لم تعرف أيّ تطوّر عبر العصور، و سميت بمدينة القدور نسبة إلى هذه الحرفة، كما نجد بالمدينة مسجدا يدعى بجامع القدّارين.

و مادة الطين متوفرة بالمدينة يصغون بها (ترّادة لتحضير الطعام، القدرة للطهي، و الطّاجين للعجين.)

و من العائلات المشهورة الّتي مارست هذه الحرفة : عائلة خياط، قرماد طباسي، ابن صغير، قدّار، قجّار، قرمادي، مزيان، أمّا أبناؤهم فكانوا يوجّهونهم وجهة أخرى حيث لا يعلمونهم هذه الحرفة، إذ يعود عليهم بمدخول زهيد جدّا.

---

(1) LEON L'africain : Description de l'Afrique par Marie-Anne THUMELIN-PRENANT, Nédroma 1954, étude urbaine, Université d'Oran, CRIDISSH, Volume 1, 1954-1984, p. 12

بينما حرفة النّسيج عرفت رواجا في الأوساط النّدرومية، حيث جلّ إن لم نقل كلّ العائلات النّدرومية نساءا، رجالا و أطفالا مارسوا هذا النّشاط، ورثوه جيلا عن جيل بنفس الطريقة دون أن يطرأ عليه أي تغيّر، فبرعوا في صناعة :

(لمودة، المحبّب، الحشايشي، بورابح، الجلابة بنوعيها : العادية و المحبّة) الحايك الأبيض للنساء، و للشيوخ، و كان يكثر الطلب عليها و خاصة في مواسم الأعراس.

و كان التجار الكبار ينتقلون إلى المدن المجاورة : (مغنية، تيارت، مشرية، سعيدة، تلمسان، سبدو) فيأتون بالصّوف الّتي تعرض في المحلات التجارية فتقوم الفتيات بشرائها، فيغسلنها في الوديان (بمادة قريشتو و يفوّرنها بالكبريت)، و في صباح يوم الجمعة بعد صلاة الفجر يجتمعن في التربيعة و يعرضن فرقا من الصّوف على النّساجين، حيث يكثر الطلب عليها، و لقد كانت أمّي إحدى الفتيات اللّواتي مارسن هذا النّشاط حيث يردّد المثل الشعبي في أوساطهم " خدم الصوف يا المكشوف إلى ما غناتك تكسيك، و إلاّ ما كساتك تلهيك على المنكر. ".

و من العائلات المشهورة في هذا المجال (طالب، غفور، غماري، قرماد، ديدي، موزّعين غي أحياء شعبية، كحي سي بوعلي، درب الخربة (درب اليهود)، التربيعة، درب السنيما.

بالإضافة إلى حرفة النّسيج هنا حرفة الزّرابي لكنّها لا تعتبر قديمة إذا ما قورنت بالحرف الأخرى، و سرعان ما انتشرت و لم يبق لها أثر في مدينة ندرومة مثلها كمثل حرفة صناعة البابوش (البلغة). و يرى المستجوبون من مختلف الخلفيات (وسط حرفي، وسط علمي و وسط فلاحي) أنّ المدينة "ندرومة" صارت لا تناسب أبناءهم، و لا يريدون لهم تعلّم الحرف لأنّها مجلبة للفقر و الحاجة. و لا يوجّهونهم إلى تعلّمها منذ الصّغر، فالطّفل يقضي أوقات راحته في البيت أمام شاشة التلفزيون، أو على شاطئ البحر أو في صالونات الألعاب الإلكترونية معتمدا في مصروفه منذ الصّغر على الوالدين.

" و معروف أنّ المدينة كانت مجالا اقتصاديا واسعا، و كان تجارها يبلغون الجزائر، و تلمسان، و يذكر مامول، أنّ قافلات الإبل المحّملة كانت تدخل يوميا إلى المدن بكلّ نفيس من بلاد البربر و الصّحراء و ليبيا و بلاد السّودان، و كانت ندرومة من طبقات المدن التي تقوم في معاشها على التّجارة، و الصّناعة التّقليدية صاحبة أملاك من الأراضي تمكنهم من الثّراء، و رغد العيش. ". (1)

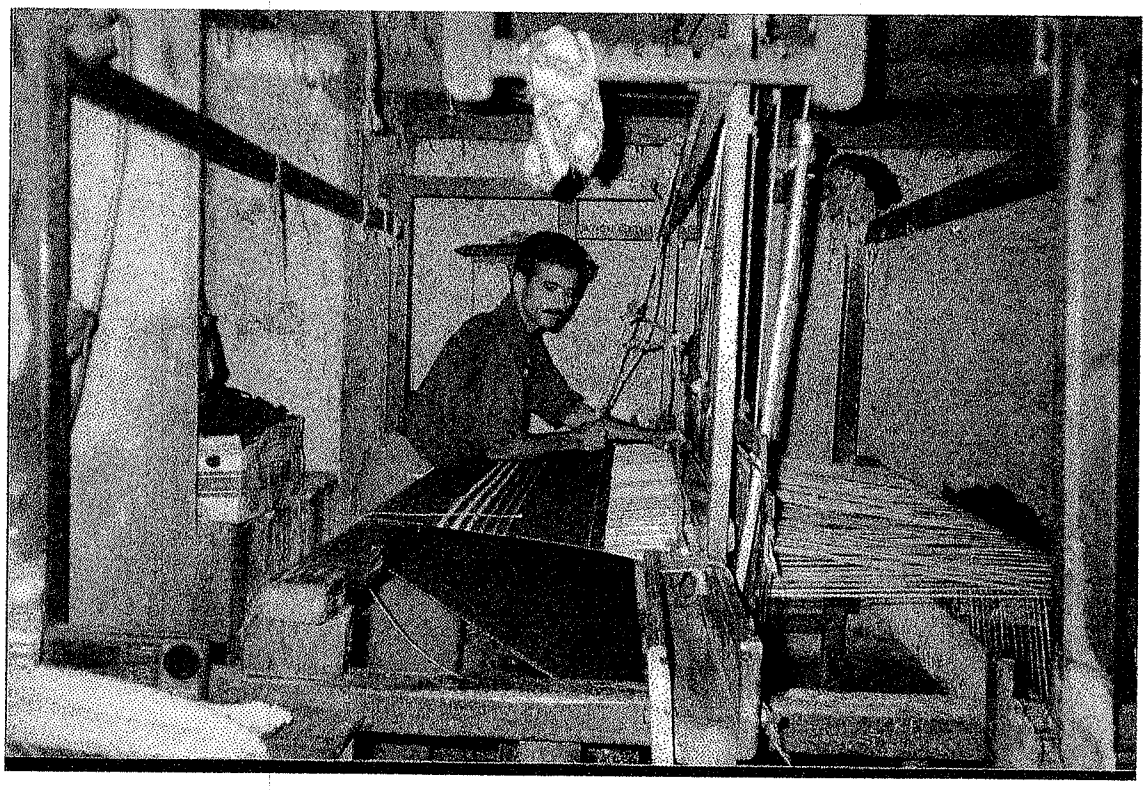

صورة شمسية لمعمل النّسيج بمدينة ندرومة
يوليو 2001

---

(1) أندري بزيان، أندري نوشي، ايف لكوست : الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 م، ص 160

و لقد كانت العلاقات التّجارية ذات أهمية متّصلة بين المجموعات الرّيفية، فهناك الأسواق الأسبوعية الباقية إلى اليوم في أماكن عديدة حسب أيام الأسبوع (سوق الخميس) حيث كانت الخرفان و الصّوف تباع داخل الأسواق و يجلب أهل الجبال إنتاجهم من الفواكه الجافة، و الزّيتون و الحيوانات، و الزّيت و العسل، و الشمع، و بعض الآلات الفلاحية من الحديد مثل آلات الحصاد، و الحراثة، و خدمة التربة و غير ذلك و يقتنون مقابل ذلك من اليهود أو تجار المدن منتوجات الصّناعات المحلية أو المستوردة. الضرورية : مثل الأثاث المنزلي، و الخزف، و آلات الحديد و المنسوجات، فالروابط بين المدينة و الرّيف لم تكن فحسب علاقة ضرائبية، إذ كان الباعة من الحضر، و خاصّة اليهود منهم ينتقلون في الدّوار بحيوانهم بحثا عن ترويج سلعهم المصنوعة من نسيج، أو أسلحة، و لهم دور الوسيط في الإنتاج الفلاحي الّذي يحملونه إلى المدن. و أمّا العلاقات بين المدن بعضها ببعض فقد عرفت ازدهارا ملحوظا، و لم تكن طرق المواصلات بينها مجرد طرقات مرور، إذ تسمح بمرور القوافل، و على الطروقات الفنادق للرّاحة، و هي تنظم حركة التناقل للقوافل ذات أبراج دفاعية يتولى شؤونها أهل المخزن. و كانت مدينة ندرومة، و مدينة تلمسان تحافظان على دورهما كمخزنين للمنتوجات الواردة من المغرب أو المارة بها، حيث يقول طارطارو (1) : "*كانت تمر بتلمسان القطن و البهار و الحرير و الأحذية (البابوج)، و الجلود و الماعز، و الخشب للأسلحة و أقمشة جبل طارق، و كان يصلها ريش النعام و الصوف. و لم تنقطع المبادلات عن طريق البحر رغم الحصار الفرنسي.*".

---

(1) أندري بزيان، أندري نوشي، ايف لكوست : الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 م، صفحة 162

انتشر في هذه المدينة الصّغيرة الصّباغون، الاسكافيون، و السرّاجون، و البرادعية، و النسّاجون للصّوف و القطن و الحرير، و الطّرّازون، و الحدّادون، و الحطّابون، و النّجارون، و باعة الأسلحة و المجوهرات، و كان صناع الجلود يعملون بضائع للتّصدير و لباس فرسان المخزن، و البابوح (البلغة) لسكان المدن و ركاب الخيل، و كان النّساجون يصنعون بالاضافة إلى الحايك و الأحزمة المطروزة، و الزّرابي المشابهة لزرابي المشرق للأغنياء من المدن و البرانس و القندورة، و الطيلسان لحمولات الحيوان و هي تباع في الأرياف. إلى جانب بعض القطاعات الأخرى التي كانت عند اليهود (الصّهر و الساعات و الجوهر و الحديد و البلور و الخياطة و السمكرية)، و لها قيمة في بناء مساكن ضخمة في المدن و أحوازها بقيت بعضها شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا.

و بسقوط مملكة بني عبد الواحد هاجر التجار المسلمون من مدينة تلمسان و مدينة ندرومة إلى بلاد المغرب و هاجر اليهود إلى مدينة فاس، هنا أخذت مدينة ندرومة تتدثربها هذه الحرف رغم تميّزها بالجودة و الاتقان بالاضافة إلى عوامل أخرى عديدة، أهمها :

- عدم تشجيع الاستعمار الفرنسي لهذه الحرف.

- منافسته لها في السّوق ببضائعه.

- مدخول الحرف زهيد لا يشجع الشباب على الإقبال عليها.

- أغطية القطن تنافس أغطية الصوف (المودة، المحبّب، لحشاشي، بورابح ...).

- الأواني الفخارية تنافس الأواني الطّين.

- اللّباس الأوربي مفضل عند الجزائري عن الجلاّبة و البلغة.

- هجرة أبناء مدينة ندرومة إلى بلدان أوروبا و خاصة بلاد فرنسا.

- ظهور مصانع جديدة في مدينة ندرومة، كمصنع الطين SNAT و مصنع النّسيج SOITEX، و مصنع الخشب SNLB.

فوجد الفرد النّدرومي الوظيفة أفضل من ممارسة الحرف في دكانه.

و مع الأزمة الاقتصادية الحادّة، و خاصّة في السنوات الأخيرة، انتشرت في الأوساط النّدرومية حرفا أخرى، كصناعة البلغة، صناعة البدعية و الجلابة، صناعة النّسيج و بيع الصّوف.

أمّا الفتيات فلقد عكفن في البيوت تعلّمن حرفا أخرى عوضا عن الصوّف كالطّرز على الحرير و توشية الملابس بالعقّاش، و المجبود و التّان الأميات و المتعلّمات على السّواء.

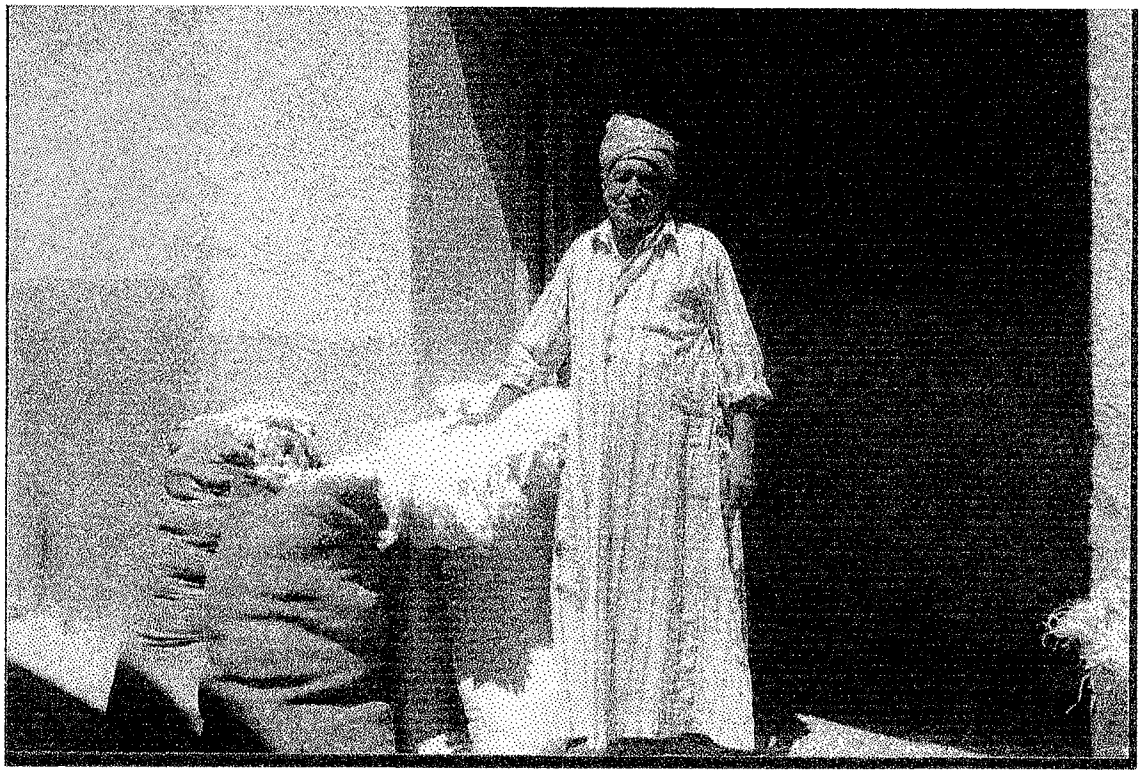

صورة شمسية لرجل ندرومي مختص في الصوف
يوليو 2001

و ظهرت محلاّت للخياطة كمحلّ "غفور" و محلّ "عطّاب"، و هكذا بدأ النّاس يرجعون إلى هذه الحرف و من خلال الملاحظة تبيّن وجود 5 محلات النّسيج (حنابل بوشراوط)، محلّ للبلغة و 7 محلات لصناعة الجلابة.

الفصل السادس :
السمات المستخلصة من الدراسة الميدانية

إنّ الثقافة في مدينة ندرومة دائمة التّغير بما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات و أدوات و قيم، و أنماط سلوكية و بما تستبعده، و تحذفه من بعض الأساليب و الأفكار، و الأدوات القديمة الّتي لم تعد تتفق مع ظروف حياتها الجديدة، شأنها شأن جميع المجتمعات الأخرى الّتي تتفاوت في تغيرها الثقافي من حيث طبيعة التّغيّر، و سرعته، و درجته مداه و الأسباب الدّاعية إليه من جغرافية، أو اقتصادية، و قد تتضافر كلها و تشترك مع غيرها من العوامل الأخرى.

هذه الثقافات تسير في حلقات متّصلة الأجزاء ضمن إطار التراث الثقافي الّذي تتوارثه الأجيال خلفا عن سلف داخل المجتمع الواحد، و يحافظ كلّ جيل على التّراث الثقافي الّذي ورثه عن أسلافه، و تستمرّ الثقافات آلاف السّنين و قد تتغيّر بعض الأنماط أثناء تلك الفترة بالزّيادة أو النّقصان أو بإحلال بدائل جديدة مع تغير الأفراد الّذين يحملون تلك الثقافة المتواصلة.

لذلك وجدنا في المجتمع النّدرومي فئتين من النّاس :

أولا : فئة محافظة على كلّ ما هو تراث و قديم.

و ثانيا : فئة مبتّكرة و مجدّدة لبعض الأنماط الثقافية الّتي ورثوها نتيجة التأثر الثقافي الأجنبي.

و بالتّالي اختلفت و تعدّدت سمات الشّخصية النّدرومية، فهي كالأتي :

أولا : السّمات المتأصلة في الجيل القديم

1 – الحياء و الوقار :

- أطرب الكلب و اقر مولاه
- وجه لخروف معروف
- دارنا سترت عارنا

2 – الطاعة و الاحترام و التعّلق بالوالدين :

- الرّابح من والدين و الخاسر من والدين
- من رقبت على ندرومة شوّش خاطري و شحال بكيت
- ما بياش فراق لمدينة بيا لميمة لخليت
- دعوة الوّالدين خير من الدّراهم

3 – المعاملة بعطف و حنان و إحساس :

- " واحد عينيه على التّمرة واحد عينيه على الجمرة "
- " دير الخير و أنساه "
- " خد الرّاي ألي يبكيك ماشي الرّاي أللي يضحكك غيل يضحك عليك "
- " اللّسان لحلو ترضعو اللبية "

4 – السّترة و التكتّم :

– " مثلت قلبي للفران يا المبني على سهد نارو من برّا ما بانش الدّخان و من داخل طابو حجارو "
– " سترها تبقى فيها "
– " نوصيك يا واكل الرّاس في البير رمي عظامه، و اضحك و العب مع الناس و فمك درله لجامه "
– " فوت على الواد الدّردوري، ما تفوتش على السّكوتي "

5 – القناعة و البساطة في العيش :

– " سيّب تكسب "
– " اللّي صاب أحلا من العسل يلعق "
– " اللّي فاتت أيّامو ما يطمع في أيام غيرو "
– " الطّمع يخسّر الطّبع "
– " صبري على روحي و لا صبر النّاس علي "
– " اللّي ما قدّه قبره يرقد فوقه "

6 – الكلمة الطّيبة في المعاملات و قضاء الحوائج :

– " يستقبلك بالرّوا و يصبحك في النشاف "
– " اللّي فايتك بليلة، فايتك بحيلة "
– " بوس الكلب من فمو و اقضي حاجتك منو "
– " بو لسان غلب بو عينين "
– " اللّسان اللّحلاح و القلب النّباح "

7 – الاتّزان في إصدار الأحكام :

– " ما تحسبش عجولك حتّى يفوت طكوّك "
– " اليوم عليّ و غدّ عليك "
– " بالرّزانة تنباع الصّوف "

8 – الوضوح :

– " كلمه في الوجه خير من عشر في الظّهر "
– " إلى شوفت زوج متعاشرين حسّ بالدّرك على واحد "
– " طق في الطّبق "
– " لحمار ما يرجع طبيب و الرّبيب ما يرجع حبيب "

9 – الطمع :

– " مول الخبزة يطمع فمول النّص "
– " كي كان القفقا في و الزّفرا في كان سي الطّالب في الجامع دافي و دروق ما تعبي لا من الكرفة و لا من الصافي "

10 – الواقعية :

– " أللّي يحسب بزّاف يشيطلو "
– " حتّى يزّاد و نسموه عياد "
– " ما تشريش الحوت في البحر "
– " كل تع اليوم و غدّ ربّي يجيب "
– " ما دراش باش مات عزّا و زاد بات "

11 – جدّي حريص في العمل :

– " من غزل شي يشبيه، و من ولد شي يربيه، و من رفد شي يخلف عليه "
– " ما حلا النقا يالالا، دومو يا بنت الحمقا يبقى، لو كان ولدك يحيب لي عليه الفصالة و النّفقة "

12 – الشدّة في المعاملة و إصدار الأحكام أثناء تحمل المسؤولية :

– " ميات رومي و لا ندرومي "
– " ألي عقد شي عقدة أيحلها بسنيه "
– " زيّر سنانك يرتخفو تع غيرك "
– " هنا يموت قاسي "

13 – مقت الادّعاء و التّظاهر :

– " جاء يسعى ودّر تسعة "
– " سيدي مليح و زادلو الرّيح "
– " حوحو يشكر روحو "
– " كي صلاة القياد في الجمعة و الأعياد "

14 – تقدير العمل المادّي (المال) :

– " كي تشبع الكرش تقول للرّاس غنّي "
– " العاطي الله سيدنا و مولانا "
– " لي يحب الشبح ما يقول أح "

15 – الاقتصاد في النّفقة :

– " فليس على فليس و هو تعمّر لكويس "
– " أللّي يعرف يخلي من عشاه لغذاه، ما يكون شفاية لأعداه "
– " ككنت أنا نطمّر، كنت أنت تزمّر "
– " حضار يتعشى بوراق اللّفت و نجّار و باب دارو منصلة "
– " الخير امرأة و الشر امرأة "

16 – حساب العواقب و التّخطيط للمستقبل :

– " صبيّع ما يخلي العكّة "
– " ما تحسب عجولك حتّى يفوت طكوك "

17 – التّعاون (بتويزة) :

– " منّي و منك تنطبع و من واحد تنقطع "
– " الخدمة مع اليهود و النصارى، و لا قعاد خصارة "
– " خديم الرّباعة سيدهم "
– " يد وحد ما تصفّق "

18 – الحياد و الانحياز للعنصر النّدرومي :

– " البس قدّك و خالط ندّك "
– " البعرة دوّر على ختها في (44) دار "
– " دقيقنا في بيتنا "
– " ريحة الشحة في راس انقول (الخبر)
– " اللحّم كيخنز يرفدوه مواليه، و ما يبكيك غل شفرك و ما يند بلك غير طفرك "

19 – فخور بأصله، معتز بانتسابه للمدينة، و بماضيه و ماضي أجداده :

– " صنعت بوك لا يغلبوك "
– " ندرومة فنجال و تخرج الرّجال "
– " يكبر و يجود و يشبه الجدود "

20 – المحافظة على اسم العائلة و شرفها :

– " حضيها قبل ما تصير "
– " قلب القدرة على فمها البنت تشبه يمّاها "
– " كلّها و يمسّك على وجهو "
– " مول الفرّان وجه النار و طهروا للعار "
– " ما تدحي يدك في غيران ما يقرصك اللفاعي "

21 – صلة الرّحم :

– " أنا و بناتي أنقيمو حضراتي "
– " دقيقنا في بيتنا "
– " حيط الرّمل لا تعليه، ولد النّاس لا تربيه، يا المخدوع من ساسو يكبر و يرجع لنّاسو "

22 – الحنين إلى المدينة و الوالدين :

" من رقبت على ندرومة شوّش خاطري و شحال بكيت
ما بي فراق المدينة يى الميمة لخليت "

23 – التّمسك بالعادات و التّقاليد :

– " أللّي فيه طبيعة ما يبيعها لو كان يمشي على العكّاز "
– " يمّا تضربني حتّى نبول ودي فيه ميزول "
– " دير كما جارك، و لا يحوّل باب دارك "
– " الوالفة خير من التالفة "

24 – التّمسك بالحرف و التّجارة :

– " مول الحرفة يعيش في الدنيا سلطان و البطال يخدمنها النفاسة "
– " صنعة بوك لا يغلبوك "
– " صنعة الصوف تغنيك و لا ما غناتك تكسيك و لا ما كساتك تلهيك عن الذكر "
– " البيع و الشرا ما خرج من باب كلّ صبع بصنعة "

25 – الحرص في العمل و الاعتماد على النفس :

– " الحمقة و لا قالولها زغرت "
– " خبزة عشر ما طيب و لا لما بيت تتحرق "

26 – الجودة و الإتقان :

– " خدم الخدمة لما تتعاودش "
– " شوف بيتها و خطب بنتها "
– " و رني بيتي نخدمو بذيتي "

27 – تقدير العمل الشّريف :

– " الرّجل يخدم في الفحم و يجيب اللّحم "
– " الحديث و المغزل "
– " خديم الرّباعة سيدهم "

28 – كره التّطفل على المهن :

– " اللّي ما يشاورك ما تدبر عليه "
– " جا يسعى ودر تسعة "
– " أللّي يبغي الشّبح ما يقول أح "
– " أللّي جاء بلا عرطة يطيح على حلقرطة "

29 – عدم الاتّكال و الاعتماد على النّفس :

– " عشر تع الناس و القرية يابسة "
– " ما كانش من يقضى حاجتي مثلي "
– " لي غاب غاب سهمو "
– " واحد يحلب واحد يشد المحلب "
– " بيتي نخدمو بنيتي "
– " كلها و يعرف كيدفن باه "
– " لي يتكل على جارتو بات بلا عشا "

30 – حبّ المناصب العالية و الإشراف :

– " أنا مير و أنت مير و أشكون يسوق الحمير "
– " أنبحق تتعلم "

31 – حبّ التغرّب و الخروج من المدينة لطلب العلم :

- " أللّي ما قرا ما تغرب يبقى في الهم يتعذّب "
- " أللّي ما جال ما يعرف قدر الرّجال "
- " أللّي كبروا أولادو يرجع بلادو "

32 – الطّلاقة في الكلام و المعاملة :

- " أللّي يحشم فيما ضرو الشطان غرو "
- " اللّسان لحلو ترطعو اللّبية "

33 – يأبى الضّيم و الإهانة :

- " اعطني فمّك نكل به النّوم "
- " الهمّة تعيش مولاها "
- " الخبز و الماء ما تخلي على القلب غمّة "

34 – عدم تقبّل النّقد :

- " اللّوسة سوسة و لعقوزة مهراز فيهم الجنّ و بوركّاز "
- " أللّي تطيبو العمشة يكلوه ولادها "
- " الشّجرة ما تشوفش لعواجها، تشوف لعواج بنت عمّتها "
- " الجمل ما يشوفش في حدبتو يشوف في حدبت غيرو "

35 – الغرور و التّباهي بالأصل النّدرومي :

– " حوحو يشكر روحو "
– " أنا بنت القع و البع و السّباط من تلث الربع "
– " أنا ندرومي آصل متصل فيها مترسم "

36 – الكرم و حسن الضّيافة :

– " من كلا دجاج النّاس سمّن ديالو "
– " زّكا و تكا و البركة "
– " الضّيف مرزاق "
– " منّي و منك تنطبع و من واحد تنقطع "

37 – الاتّعاظ من دروس الماضي :

– " المحنة تعلّم مولاها "
– " لي فايتك بليلة فليتك بحيلة "
– " اليوم عليّ و غدّ عليك "
– " أللّي خاف سلم "

38 – التّدين :

– " أخدم يا صغري لكبري، و أخدم يا كبري لقبري "
– " لمغافسة في الصّلاة و الدّين "
– " أللّي صلّى و ترك في جهنّم اغرق "

39 – الإيمان بالقضاء و القدر :

– " الكاتبة تلحق "
– " أللّي مكتوبة في الجبين ما ينحوها اليدين "
– " العقايب على سبعة "
– " أللّي يحبك ما يبنيك قصر، و أللّي يكرهك ما يحفر لك قبر، و أللّي يخلق ما يضيّع "

40 – اللّهو و المرح و التّمتع بالموسيقى الأندلسية و المدائح الدّينية : " حشوية لربي و حشوية قلبي "

41 – عدم المخالطة و المصاحبة :

– " ألبس قدّك و خالط ندّك "
– " ما تزوج المرأة الهجّالة، و ما تشريش العودة الشارفة و تصحبش الحكومة "

ثانيا : السّمات الجديدة

1 – عنيف، عنيد : " الزّلط و تفرعين "

2 – الوقاحة في المعاملة :

– " ألّي مربّي من عند ربّي "
– " تضربني يمّا حتّى نبول و دبي فيا ما يزول "

3 – حبّ المال و الاتّكال :

– " دراهم تع الخادم و تبريح بلالاها "
– " تخدمو لمعدلة و يفوت علي وجه المبهدلة "

4 – منفعل متوتّر : " صوفة طارت "

5 – أنانيّ :

– " عيني على عينك "
– " الخلطة تردّي و الجرب يعدي "

6 – طموح إلى أكبر ما في يده : " الطمع يخسّر الطّبع "

7 – ماديّ : " البزقة يحسبها دورو "

8 – التّكلّف و التّعقيد في المعيشة : تقول إحدى المغنيات الناشئات بمدينة ندرومة : " يما يما بخر لي بالجاوي و على ولدات اليوم غل شكي و الجيب خاوي "

9 – الاستنكاف على العمل اليدوي : " أنت مير و أنا مير و أشكون يسوق لحمير "

10 – الاستنكاف عن طلب العلم : " ألّي ما يعرفك يخسرك "

11 – عدم التعاون (انعدام التويزة) :

- " اللّه يتركها عادة "
- " عيني على عينك "
- " عشر تع نسا و القرية يابسة "

12 – المسؤولية ملقاة على الوالدين :

13 – التّحيّر و الانحياد :

- " غل أنا و ابناتي أنقيمو حضراتي "
- " الشركة هلكة، الخلطة تردّي و الجرب يعدي "

14 – استحداث بعض البدع : " اللّه ينعلها عادة "

15 – التمتّع و الاستماع بالأغاني الّتي لا صلة لها بالتراث : " حشوية لربّي و حشوية لقلبي "

الـخا تـمـة

لقد توصلت من خلال هذه الدّراسة بشقيها : النّظري و التّطبيقي إلى نتائج متّصلة بميدان الثّقافة و الشخصية، إذ أنّ المقدرة الصّحيحة على نقل وقائع ثقافة الأسلاف هي أحد الوعي القوميّ المتجانس و الدّيناميكي، القادر على مجابهة ثقافة الحاضر، و التّطلع إلى المستقبل. هذه الثّقافة الّتي أتمنّى أن تكون موجودة في الوقت الحاضر حتّى لا يبقى الوعي مثقلا بالتّفتّت الثّقافيّ، و التّلاعبات التّاريخية الّتي جاءت بها الأيديولوجية الاستعمارية، و بظهور تلاعبات جديدة كانت النّتيجة تاريخ ممزق، و وعي تاريخي ضعيف، و مشتت، و ثقافة مضعضعة، نتيجة مواقف مجيدة، و مواقف خفية.

فوجدت من الضّروريّ وضع حدّ للمعلومات الخاطئة، و بناء جهاز مراجع متواضع آملة أن أتوسّع فيه في الدّراسة المقبلة. حيث يسمح لشباب المستقبل بالاطلاع على تراثهم وسط التعقيدات، و الاستمرارية، و يبقى متمسّكا فخورا به و بعاداته و تقاليده، و سمات شخصيته، و انتمائه للرّقعة الجغرافية الّتي يعيش بها.

إنّ هذه الدّراسة كانت نتيجة المعايشة لهذا المجتمع، و الغوص في أعماقه، بلغة، و بلهجة، هي لهجة ندرومية ثابتة، متأصّلة على لسان سكانها؛ و اتباع الخبرات الّتي يمرّ بها الأطفال من الولادة حتّى النّمو. هذا على عكس ما جاء في دراسات و أبحاث قام بها باحثون أجانب على مجتمعاتنا العربية؛ و الّتي ظلّت تمثّل حقول التّجارب المفضلة لديهم لأسباب عديدة دون أن يتوفّروا على وسائل الاستخدام الفعّالة لمناهج البحث الّتي تتطلبها دراسة الثّقافة، و الشّخصيّة؛ فضلا على انعدام الموضوعية، و التجرّد قصد إثبات، أو نفي سمات معيّنة تخدم أهدافا غير علمية.

لأنّ السّمات هي الوحدة الطّبيعية لوصف الشّخصية، و هي خصائص متكاملة للشخص يمكن التّعرف عليها من خلال الملاحظة، فهي طرق سلوكه في ظلّ مثيرات بيئية، إذ يتوقف وجودها على التفاعل بينها و بين البيئة، فالفرد لا يملك الحياء بل يشعر به في ظل ظروف معيّنة، و ينطلق في ظروف أخرى ممّا يؤكدّ أهمية الظروف الخارجية، لهذا فإنّ السّمات المحدّدة في هذه الدّراسة لا تمثّل إلاّ تلك السّمات الأساسية أو العامّة التي تنطبّق على أكثر نسبة من أفراد المجتمع النّدرومي.

و لقد توصلت إلى و جود سمات جديدة الظّهور في مجتمع البحث بفعل التّغير الاجتماعي و الثّقافي، الذي صاحب مرحلة الاستقلال، لأنّ التّغير الثّقافي سبب في تغيّر سمات الشّخصيّة. مادامت الأنماط الثّقافية في تغيّر مستمرّ عبر الزّمن، فتتضح تغيّرات الشّخصيّة عبر الأجيال، و كلّ عضو في كلّ جيل من الأجيال ساهم بجهد معيّن في عمليّة هذا التّغيّر.

هذه السّمات الجديدة فضلا عن عدم انعكاسها في الأمثال الشّعبية لحداثة عهدها، فهي في طريق الاتّصاف بالشّمولية نظرا لكون المجتمع الحضري أصبح يشهد تحوّلا في القيم المتوارثة، و صراعا ظاهريا بين نزعة التّجديد، و نزعة التّقليد، و بين الثّقافة العربية الإسلامية، و الثّقافة الفرنسية الغربية بشكل عام.

و هذا ما يعرف بالصّدمة الثّقافية، و هي إحدى عوامل تأثير الثّقافة في الشّخصيّة، إذ أن النّسق الثّقافي المضطرب يكون نتيجة تعرض المجتمع لظروف صعبة : (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ...) تؤدّي إلى نوع من الفقدان الثّقافي نتيجة لتغير البينات الأساسية للمجتمع، فأصيب أفراد المجتمع النّدرومي بحالة من القلق النّفسي أثّر، و ما زال يؤثّر على شخصيات أبنائها، فجلّ الشّباب إن لم نقل كلهم يفضلون الهجرة، و عدم البقاء في المدينة

بأيّة طريقة كانت تاركين الحرف، و العلم، على الرّغم من خضوعهم لنظام تربويّ واحد، و أنماط ثقافية موحدة إلاّ أنّه وجد هذا الدّور المؤثر في الثقافة ظهر من خلال حبّ هؤلاء الشّباب للتطور نحو حياة أفضل في ظل الاختراعات و الاكتشافات للنّظم الثّقافية الجديدة الّتي تحدث تغيّرا جذريا في الأتساق الثقافية السائدة، فلا الحرفة، و لا طلب العلم، هي الرّغبة الملحة الّتي يريدها هؤلاء الشباب، بل يريدون طرقا سريعة للكسب، و هذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على أنّ الشخصية ليست شيئا ثابتا أبد الدّهر؛ بل هي عرضة للتّطوّر، و التّغير، بنفس النّسبة الّتي تتغيّر بها الثّقافة السّائدة. فتعتري الشخصية بعض الأمراض، و الانحرافات السّلوكية، نتيجة عدم التكيّف مع الأوضاع الثّقافية الجديدة أو المغايرة لثقافة الفرد ممّا حدث خلال حتميا في التّوازن الاجتماعي، و لقد توصلت إلى السمات المتأصلة في الفرد النّدرومي انطبقت عليها أمثال شعبية أدرجتها في هذا البحث رغم أنّها تحمل أكثر من معنى في مضمونها، ممّا يجعلها صالحة للتدليل بها على أكثر من سمة داخل مجتمع الواحد، فعمدت إلى إدراج المثل ضمن السّمة الّتي يعبّر عنها المثل بصفة مباشرة.

وجدت هذه السّمات لكون ندرومة حيّز صغير يتم فيها التّطور و يسير سيرا بطيئا جدّا، لذلك ما زال هناك نمط عائلي تقليدي. إذ لم يحصل بعد تغيير جدريّ على مستوى الأسرة الندرومية إلاّ أنّ هذه الأسر تفاجأ بتكوينها لأفراد كما يريدهم المجتمع، لا كما تريدهم العادات، و التقاليد رغم أنّها تشارك في العملية التربوية التقليدية انطلاقا من هيكل قديم.

فإلى أبناء ندرومة خاصّة و أبناء الجزائر عامّة أقول : " *إنّ الأمة التي يستهين أبناؤها بماضيها، و يزدهون في أخبارها لا يأمن حاضرها من استخفا فهم، و لا تصان كرامتها من استهتارهم كما لا تسلم نفوسهم من الهوان، إذ لا مناعة لعصبيتهم القومية، و لا عصبة لعزّتهم الوطنية إنّ حياة الأمّة سلسلة متصلة، جزء لا تتجزّأ. فمن لا يعتزّ بماضيها لا يصلح أن يرعى زمام حاضرها.* ".

و إنّ ما يبعث الأمّة على الاستقرار في الفكر، و الطّمأنينة في النّفس ثقتها بنفسها و بكيانها و إيمانها بشخصيتها، فالمستعمر يولي جهدا في محو هذه الثّقة من نفوس الشعوب الّتي يحتلّها، و يحلّ مكانها الإيمان بحضارة الأجنبي و قيمه، و تفوّقه على كلّ التّراث الأهليّ، فتنبيه الأجيال لمعرفة تاريخهم، و بعث ثقتهم في نفوسهم خير يدعوهم إلى اليقظة، و إلى التّقدّم للعمل في جوّ من الرّضى الباعث على الاستقرار.

فأتمنى أن تكون هذه الدّراسة مسارا يفتح باب البحث أمام كلّ باحث غيور على تقاليده، و عاداته، و تراثه، إذ أنّ الأقوال الّتي تردّدها الأمهات و هي تهدهد (تراري) على ابنها لينام تحتاج إلى دراسة تحليلية، و تصنيفية، لأنّ البنية الفنية لأسلوب هذه الأقوال متنوّعة بتنوّع المواقف و الموضوعات المطروحة في مجال الثقافة و الشخصية، كما تحتاج الأمثال الشعبية هي الأخرى الواردة في هذه الدّراسة إلى استنطاقها كونها تعجّ بدلالات، و مضامين مختلفة في ميادين منوّعة.

قائمة المصادر
و المراجع

أولا : المراجع باللّغة العربية

1) ابن خلدون
المقدّمة
العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيّام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر
الدّار التونسية، 1984

2) ابن مريم
البستان في ذكر الأولياء و العلماء في تلمسان
ديوام المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986

3) أحمد واضح اليعقوبي
البلدان
ترجمة من لدن قسطون فييات Gaston Wiet، ولد عام 1887
بدون تاريخ

4) ابن الأثير
الكامل في التّاريخ لإبن الأثير
دار الكتاب العربي، بتروت، لبنان
بدون تاريخ

5) البستاني
دائرة المعارف الإسلامية
دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ

6) البكري
المسالك و الممالك
طبعة سيلان، الجزائر، 1858
المؤلف سنة 1068

7) الإدريسي
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
طبعة دوزي و جورج لايد، 1866

8) ابن منظور
لسان العرب
دار صابر، بيروت، 1956، ج 1

9) أحمد الأهواني
التّربية في الإسلام
مطبعة الحلبي، مصر، 1955

10) إبراهيم العبيدي التوزوي
تاريخ التّربية بتونس
الشركة الوطنية للنشر، تونس
بدون تاريخ

11) أحمد توفيق المدني
الطبعة الأولى
المطبعة العربية في الجزائر
بدون تاريخ

12) أمل عوّاد معروف
أساليب الأمّهات في التّطبيع الاجتماعي للطّفل في الأسرة الجزائرية
ط 1، بيروت، لبنان، 1987

13) أندري بريان، أندري نوشي وايف لكوسط
الجزائر بين الماضي و الحاضر
ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984

14) أبو ساطع الحصري
آراء و أحاديث في التاريخ و الاجتماع
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1951

15) أحمد بن نعمان
هذي هي الثقافة، ط 1
شركة دار الأمّة للطّباعة و النّرجمة، الجزائر، 1996

16) أحمد بن نعمان
سمات الشّخصيّة الجزائريّة من منظور الأنثروبولوجيا النّفسية
المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988

17) أحمد شبشوب
علوم التّربية
مطبعة الوفاق، قربة، تونس، 1986

18) حسن أحمد محمود
قيام دولة المرابطين صفحة مشرقية من تاريخ المغرب في العصور الوسطى
مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1957

19) رالف لينتون
الأنثروبولوجيا و أزمة العالم الحديث
المكتبة العصرية
صيدا، بيروت، لبنان، 1967

20) ريتشاردسن لازاروس
الشّخصية
ترجمة سيّد محمّد غنيم و مراجعة عثمان نجاتي
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971

21) سامية حسن السّاعاتي
الثقافة و الشّخصية، ط 2
دار النّهضة العربية للطّباعة و للنشر، بيروت، لبنان، 1983

22) سناء الخولي
الأسرة و الحياة العائلية
دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984

23) عبد المالك مرتاض
الأمثال الشعبية الجزائرية
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

24) عبد الواحد المراكشي بن علي التّميمي
المعجب في تلخيص أخبار المغرب
المؤلف سنة 62 ه – 1223 م

25) عبد القادر جغلول
مقدّمات في تاريخ المغرب القديم و الوسيط، ترجمة فضيل الحكيم
دار الحداثة للطباعة و النّشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1988

26) علال الفاسي
تاريخ الحضارة المغربية، ج 1
دار السّلمي، 1962

27) عبد الرّحمن حاج صالح
الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987

28) عاطف وصفي
الأنثروبولوجيا الثقافية
دار النّهضة العربية للطباعة و النّشر، بيروت، لبنان، 1971

29) عبد الرّحمن بن أحمد التيجاني
الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 م إلى 1977 م
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983

30) عادل نويهض
معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر
مؤسّسة نويهض الثقافية للتّأليف و النّشر، بيروت، لبنان، ط 3، 1403 هـ- 1984 م

31) قباري إسماعيل
الأنثروبولوجيا العامّة
منشأة المعارف بالأسكندرية، 1971

32) قادة بوتارن
الأمثال الشعبية الجزائرية
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987

33) محمّد حسن غامري
مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامّة
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991

34) مبارك بن محمّد الميلي
تاريخ الجزائر القديم و الحديث ج 1
المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
إنتاج دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ

35) مالك بن بني
ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية
دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 3، 1986

36) محمّد بن عمرو الزّرهوني
ديوان الشيخ قدّور بن عاشور الزّرهوني
شعر من النوع الرّجل و الملحون، ط1
المطبعة الوطنية الجزائرية، 1996

37) مصطفى أبو ضيف أحمد عمر
القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

38) ميشيل دبابنة و نبيل محفوظ
سيكولوجية الطفولة
دار المستقبل للنّشر و التّوزيع، عمّان، الأردن، 1984

ثانيا : الدّوريات باللّغة العربية

1) ندرومة عبر التاريخ
جمعية الموحدية
مطبعة ابن خلدون
تلمسان
بدون تاريخ

2) الميثاق الوطني
الجريدة الرّسمية للجمهورية الجزائرية رقم 7
يوم 7 جمادى II 1406 ه الموافق لي 16 فبراير 1986 م

ثالثا : المراجع باللّغة الأجنبية

1) ALLPORT G.
Pattern and Growth of personality
N.Y. Holt, 1961

2) Benedict RUTH.
Patterns of culture
Mentor book, New York, 1953

3) DJEBBARI Mohammed Benamar
Un parcours rude et bien rempli
Office des Publications Universitaires
Imprimerie régionale d'Oran, 1999

4) Djilali SARI
Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale : Nédroma, Mazouna, Kalaa
Université d'Alger, 1967

5) Georges MARCAIS
Le dialecte arabe parlé à Tlemcen
Leroux, Paris 1902

6) Georges MARCAIS
Tlemcen, les villes d'art célèbres
Paris, 1950

7) Gilbert GRANDGUILLAUME
Nédroma – L'évolution d'une Médina
Leiden E. J. Brill, Paris, 1976

8) HERSKOVITS M.J.
Man and his works
N.Y., Alfred A., Knopf, 1948

9) HONIGMAN John
Culture and personality
New York 1954

10) KARDENER A.
The concept of basic personality in personal character and cultural milieu
N.Y. Syracuse C.U.V. 1964

11) KLUKHOHN C. and MURRAY H.
Personality in nature society and culture
N.Y. Alfred a Knopf 1949

12) KLUKHOHN C. and MURRAY H.
Culture and personality, a conceptuel scheme reprinted from american anthropology
STS Vol. 46, 1944

13) LEON L'africain
Description de l'Afrique
Editions SCHOEFFER
Paris, 1896

14) LINTON R.
Le fondement culturel de la personnalité
Traduit par André TYOTARD
DUNOD, Paris, 1968

15) Margaret MEAD
Mœurs et sexualité en Océanie
Traduit de l'américain par Georges CHEVASSUS
Librairie Plon, Paris, 1963

16) Nefissa ZERDOUMI
Enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien
François MASPERO, Paris, 1982

17) Pierre BOUTE et Michel IZARD
Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie
Presses Universitaires de France, 1991, Paris

18) René BASSET
Nédroma El-Traras
Leroux, Paris, 1901

19) SELTZER
Le climat de l'Algerie
ALGER, 1946

20) TASSADIT Yacine-Titouh
Les voleurs de feu, éléments d'une anthropologie sociale et culturelle de l'Algérie
Editions la découverte, Paris, 1993

21) TAYLOR W.
Primitive culture
John Murray, London, 1973

رابعا : الدّوريات باللّغة الأجنبية

1) CANAL Joseph
Monographie de l'arrondissement de Tlemcen : Nédroma et les Traras
Bulletin de la Société d'Archéologie et de Géographie d'Oran, Oran 1888

2) Emile JANIER
Nemours et sa région
Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, 1950

3) Marie-Anne THUMELIN-PRENANT
Nédroma 1954, étude urbaine
Université d'ORAN
C.R.I.D.I.S.S.H., Volume I, 1983

4) Méthodologie de la communication écrite
Centre de formation de la profession bancaire
Paris, 1982

5) L'enfant d'hier à aujourd'hui en Algérie
Secrétariat social
Alger, 1971

6) Les relations personnelles dans la famille maghrébines
Actes du colloque

قائمة الجداول
و الصور و الخريطة

1 – الجداول

1) جدول رقم 1 :
توزيع أفراد العيّنة الأولى للبحث: النساء 67

2) جدول رقم 2 :
إحصائيات مواليد ضواحي مدينة ندرومة
لسنة 1954 69

3) رسم بياني لجدول رقم 2 70

4) جدول رقم 3 :
أسماء العائلات حسب الحالة المدنية
لسنة 1888 بمدينة ندرومة 71 و 72

5) جدول رقم 4 :
وجهة الشباب في تعلم العام و الحرف 76

6) رسم بياني لجدول رقم 4 77

7) جدول رقم 5 : نوعيّة الرّضاعة 131

8) رسم بياني لجدول رقم 5 131

9) جدول رقم 6 : مدّة الرّضاعة الطّبيعية 132

10) رسم بياني لجدول رقم 6 132

11) جدول رقم 7 :
مقارنة بين الفئتين لمدّة الرّضاعة الطّبيعية 133

12) رسم بياني لجدول رقم 7 134

13) جدول رقم 8 :
المقارنة بين المتعلمات و غير المتعلمات
في نوعيّة الرّضاعة 137

14) جدول رقم 9 : طرق التتويم 142

15) جدول رقم 10 : التقميط و التسرويل 154

16) جدول رقم 11 : مدّة التقميط 157

17) رسم بياني لجدول رقم 11 158

18) جدول رقم 12 : طرق التعليم 163

19) رسم بياني لجدول رقم 12 164

2 – الصور الشمسية

1) صورة شمسية رقم 1 93

2) صورة شمسية رقم 2 150

3) صورة شمسية رقم 3 180

4) صورة شمسية رقم 4 184

5) صورة شمسية رقم 5 188

3 – الخريطة

نسخة من خريطة ولاية تلمسان 95

فهرس المحتويات

المحتوى	الصّفحة

- الإهداء 3

- كلمة شكر و تقدير 4

المقدّمة 5
أولا : الأهمية العلمية لموضوع الدّراسة 11
ثانيا : الدّراسات السّابقة 16
1 – دراسة هونيجمان HONIGMAN
على قبائل كاسكا 17
2 – دراسة روث بنيديكة Benedict RUTH 17
3 – دراسة ماجريت ميد Margaret MEAD 18
4 – دراسة إبرام كاردينر عن الشخصية الأساسية 18
5 – دراسة فرانز بواس 19
6 – دراسة سليجمان SELIGNAN 19
7 – دراسة ادوار سابير Edward SAPIR 19
8 – دراسة كلوكهون و موريز
KLUCKHOHN et MOWER 20
ثالثا : مشكلة البحث و أبعادها 24
رابعا : فرضية البحث 30
خامسا : تحديد المفاهيم 34
1 – معنى لغة السّمات 34
2 – الأنثروبولوجيا الثقافية 38
3 – الثقافة 40
4 – الشّخصية 44

المحتوى	الصّفحة

5 – التفاعل بين الثقافة و الشخصية	46
1) التربية	48
2) التّعلّم	48
3) التّغيّر الثقافي	49
4) الصّدمة الثقافية	49
سادسا : تقنيات البحث	51
1– المقابلة	53
2 – استمارة	54
3 – العيّنة	65
4– المنهج المستخدم	78
5 – تحليل البيانات	81
6– الدّراسات الاستطلاعية	83
سابعا : محتويات الدّراسة	85
أ – أهمّ السّمات المتأصلة في الفرد النّدرومي	87
ب – السّمات الجديدة التّي بدأت تظهر في الجيل الجديد	89
ثامنا : الصّعوبات التّي اعترضت الباحثة في موضوع الدّراسة	90
الفصل التمهيدي : التعريف بمدينة ندرومة	93
أولاً : الدراسة الجغرافية	94
ثانيا : ندرومة تاريخيا	99
ثالثا : السكان	117

المحتوى	الصّفحة

الفصل الأوّل : الرّضاعة 129

الفصل الثاني : التنويم 140

الفصل الثالث : التقميط 152

الفصل الرّابع : التعليم 160

الفصل الخامس : الحرف و الممارسات التقليدية 180

الفصل السادس : السّمات المستخلصة من الدّراسة الميدانية 189

أولا : السّمات المتأصلة في الجيل القديم 191
ثانيا : السّمات الجديدة 202

الخاتمة 204

قائمة المصادر و المراجع 209

أولا : المراجع باللّغة العربية 210
ثانيا : الدّوريات باللّغة العربية 216
ثالثا : المراجع باللّغة الأجنبية 217
رابعا : الدّوريات باللّغة الأجنبية 220

قائمة الجداول 221